

# السياسة بين الزوجية في الإسلام

لفَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْإِمَامِ السَّيِّدِ

مُحَمَّدِ ذَكِّي الْأَبْرَاهِيمِ

رَأْدِ الْعِشِيرَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ

أَعْتَنَى بِهَا رَعْلَقُ عَلِيهَا  
مُحَمَّدُ بْنُ هُسَيْنِ يُونُسَ الْإِسْرَافِي  
تَلْمِذُ الْمَوْلَفِ وَمِنْ خُرَاجِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ



## من مؤلفات الإمام الرائد

### أ - المطبوعة :

- ١ - أبجدية التصوف الإسلامي .
- ٢ - أصول الوصول .
- ٣ - الاسكات بركات القرآن على الأحياء والأموات .
- ٤ - فواتح المفاتيح : الدعاء وشروطه وآدابه وأحكامه .
- ٥ - مراقد أهل البيت في القاهرة .
- ٦ - خلاصة العقائد في الإسلام .
- ٧ - كلمة الرائد ( ٥ مجلدات ) .

### ب - تحت الطبع (قريباً) :

- الكرامات والخوارق
- ديوان المثاني ( ٣ أجزاء )
- الطب النبوي .
- فقه الصلوات والمدائح .

طبوعات ورسائل العشيرة المحمدية

# السياسة بين الزوجية في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

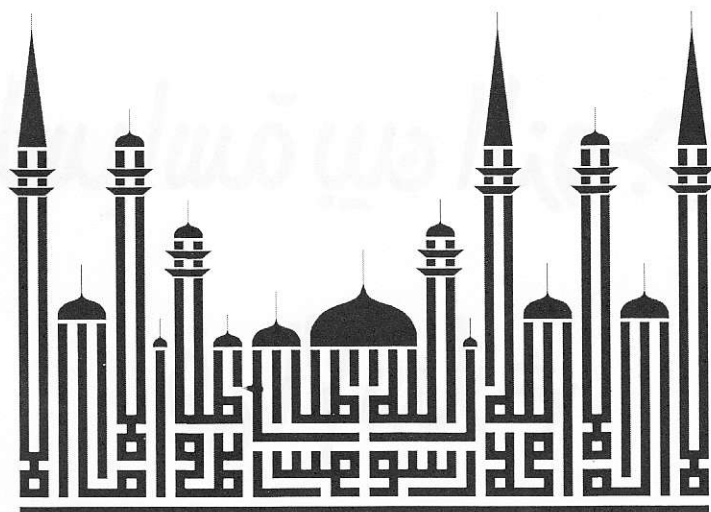
محمد زكي إبراهيم

راند العشيرة المحمدية

أعنتني بها وعلق عليها

محي الدين حسين يوسف الاستوي

تلميذ المؤلف ومن خريجي الأزهر الشريف



الطبعة الأولى - القاهرة  
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع : ١٧١٩١ / ٢٠٠٨

طبع بدار نوبار للطباعة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد: فهذه محاضرة دينية اجتماعية ثقافية قيمة، عنوانها  
(سياسة الزوجين)، ألقاها شيخنا الإمام الراحل محمد زكي  
إبراهيم رحمه الله تعالى في صدر شبابه بدار الإخوان بالقاهرة،  
ونشرتها جريدة الإخوان المسلمين<sup>(١)</sup> في ست حلقات متوالية

---

(١) جريدة أسبوعية إسلامية، كانت تصدر عن جمعية الإخوان المسلمين  
في الثلاثينات من القرن العشرين، بالقاهرة، وكان رئيس تحريرها  
الشيخ طنطاوي جوهرى (ت ١٩٤٠م) صاحب الجواهر في تفسير  
القرآن الكريم، وهو شخصية لها تأثيرها على شيخنا رحمه الله.  
هذا، وقد فتحت جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية أبوابها للشباب  
البليغ الذي لم يتجاوز العقد الثالث من عمره، فكتب بها عشرات  
المقالات، كما ألقى بدار الجمعية الدروس والمحاضرات. =

= ويحدد معالم العلاقة بين شيخنا وجمعية الإخوان في هذه الفترة الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه « الإخوان المسلمون .. أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل » ١ / ٥٤، ط دار الدعوة بالإسكندرية، الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، قال:

« ومن الشخصيات الأخرى التي كانت تتردد على الدار، وكانت تلفت النظر الشيخ محمد زكي إبراهيم، وكان مدرساً أديباً خطيباً شاعراً متصوفاً، وكان ممن يفهمون الإسلام فهماً صحيحاً، وكان يشغل حماساً للفكرة الإسلامية، وممن يحسنون فهم الجو الاجتماعي والسياسي في مصر والعالم الإسلامي، ولا أدري لِمَ لَمْ يبرز اسم هذا الرجل بين شعراء مصر مع أنه كان شاعراً مطبوعاً، ولعل السبب في ذلك أن النزعة الصوفية غلبت عليه.. فقد لاحظت أن الرجل كان ملازماً للأستاذ المرشد طيلة المدة التي كانت فيها الدعوة مغمورة لا يعرفها إلا الأقلون، فلما برزت الدعوة وأمها الكثيرون أخذ هذا الرجل في الابتعاد حتى اختفى تماماً.. ثم قرأت أخيراً في أيامنا هذه أنه ألف جماعة سماها (العشيرة المحمدية)، ولا أعتقد إلا أن هذه العشيرة تقوم على الفكرة الإسلامية الصحيحة التي كان هذا الرجل من أوائل معتنقيها والعاملين لها والمعاهدين عليها ».

انتهى ما أورده الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه، ولا أعلم سبباً لترك شيخنا رحمه الله للجمعية إلا انتهاجها سياسة السرية ونظام =



(سنة ١٩٣٤ م)، في أعدادها:

(١) العدد ١٤ الخميس ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ هـ،

(ويوافق ٩ أغسطس ١٩٣٤ م).

(٢) العدد ١٥ الخميس ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ،

(ويوافق ١٦ أغسطس ١٩٣٤ م).

(٣) العدد ١٦ الخميس ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ،

(ويوافق ٢٣ أغسطس ١٩٣٤ م).

(٤) العدد ١٧ الخميس ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ،

(ويوافق ٣٠ أغسطس ١٩٣٤ م).

---

= الخلايا وانشغالها بالسياسة، وابتعادها عن الفكرة الأصلية، وهذا قد ذكره لي شيخنا مرات، يضاف إلى ذلك علاقتها ببعض الشخصيات والجمعيات ذات التوجه الوهابي والمتشدد، في سبيل تحقيق ما تراه، فتركها شيخنا مع من تركها كالكتور إبراهيم حسن، وإن بقيت علاقتها الشخصية بالشيخ أحمد عبد الرحمن البنا وأسرتة قائمة. وقد توسعت في بيان هذا الجانب التاريخي المهم من حياة شيخنا رحمه الله في كتابي عن حياته، يسر الله طباعته.

٥) العدد ١٨ الخميس ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ،

(ويوافق ٦ سبتمبر ١٩٣٤ م).

٦) العدد ٢٠ الخميس ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ هـ،

(ويوافق ٢٠ سبتمبر ١٩٣٤ م).

وقد سماها شيخنا رحمه الله تعالى بعد ذلك « السياسة بين  
الزوجين في الإسلام »، كما ذكرته في فهرست مؤلفاته الذي طبع  
بمراجعة شيخنا رحمه الله سنة ١٩٩٤ م.

### أسلوب المحاضرة:

يحد القارئ المتأمل أن أسلوب شيخنا رحمه الله تعالى في  
هذه المحاضرة يختلف نوعاً ما عن مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته،  
خصوصاً الأخيرة منها، وإن كان يتشابه الأسلوب مع بعض  
رسائله ومقالاته التي كتبها في وقت مقارب، فهذه المحاضرة وما  
يشبهها تمثل مرحلة مهمة في حياة شيخنا رحمه الله تعالى.



ولا شك أن التأليف يختلف عن المحاضرة، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وشيخنا رحمه الله ألقى هذه المحاضرة لطائفة من مثقفي هذا الوقت من خريجي الأزهر والجامعة الأهلية، والمهتمين باللغة ومهاراتها، لأجل ذلك جاءت المحاضرة قطعة أدبية مليئة بأنواع التشبيهات والكنيات والاستعارات، كأنه انتقى كلماتها انتقاءً، واختار جملها اختياراً، ف لغة المحاضرة مناسبة تماماً للوقت الذي ألقى فيه، وليست غريبة أبداً عن أسلوب الثلاثينات، التي شهدت نهضة أدبية وظهر فيها عدد من كبار الأدباء والشعراء والخطباء.

ثم لا نغفل أبداً أن المحاضر رحمه الله كان في مقتبل عمره وعنفوان شبابه وأوج نشاطه، لم يمنعه صغر سنه، وهو الذي لم يتجاوز الثلاثين في هذا الوقت، أن يعارض بقلمه أساطين الأدب واللغة والنقد أمثال الزيات وأبي حديد في بعض مقالاته، كتلك المجموعة التي أطلق عليها (مشاغبات الأسبوع).

## الحاجة إلى هذه المحاضرة:

قد يقول قائل: قد تباعد الزمان بين وقت المحاضرة ووقتنا هذا، وتغيرت كثير من الأحوال، فما الحاجة إليها؟

أقول: رغم تباعد الزمان، وتغير كثير من الأحوال، ورغم تلك الطفرة القوية والتطور المتسارع في أدوات المعرفة ووسائلها حتى أصبح العالم قرية صغيرة، ورغم تغير كثير من الثقافات والمعاملات والمفاهيم والأعراف والتقاليد، إلا أن في نشر هذه المحاضرة فوائد وفرائد جمة، منها:

(١) أن لغة تلك المحاضرة وطريقتها تمد جسور التواصل بين جيلنا وجيل شيوخنا وشيوخهم الذين كانوا يتذوقون جمال الألفاظ وروعة التراكيب الكلامية، كما أنها تزيد من ثروتنا اللغوية والمعرفية، فإن وسائل الإعلام في وقتنا هذا قد أفسدت لغة هذا الجيل وذوقه بما تبثه من العبارات العامية (والسوقية) والتراكيب والاشتقاقات الغريبة.



٢) أن موضوع المحاضرة (السياسة بين الزوجين) طريق إلى بناء علاقات زوجية ناجحة، فما زالت هذه القواعد المهمة التي أوردها شيخنا رحمه الله ثابتة، لم تمسها يد التغيير والتبديل، فهي مستمرة وصالحة لأداء هدفها في تقويم الأسرة والمجتمع.

٣) وأخص مما سبق فإن هذه المحاضرة تمثل مرحلة مهمة في رحلة شيخنا رحمه الله العلمية والدعوية، فهي باكورة العطاء، وهي دليل النضج المبكر، والعقل الراجح، والعلم الغزير.

وأخيراً، فإن لشيخنا الإمام محمد زكي إبراهيم في باب الأسرة والعلاقة الزوجية وشؤون المرأة الكثير من الدروس والمقالات والبحوث المفيدة في بابها، جعل الله ذلك كله في ميزان حسناته، ورحمه الله رحمة واسعة.

### عملي في هذه الرسالة:

قد أكرمني الله تعالى بتحقيق رغبة شيخنا الإمام الراحل

رحمه الله تعالى في خدمة هذه المحاضرة ونشرها، بحسب الجهد والطاقة، فكان ما يلي:

- قمت بجمع المحاضرة من أعداد الجريدة المذكورة، ونسخها، ثم مقابلة النص على أصله، وتصحيحه، وضبط ما يحتاج الضبط بالشكل من الكلمات.
- عزوت الأحاديث النبوية الشريفة إلى أقرب مصادرها، كما وثقت النصوص الأدبية والقصص.
- وضعت عناوين جانبية شارحة لتيسير القراءة.
- علقت على مواضع من المحاضرة شرحاً وتفصيلاً.
- وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وكتبه

محيي الدين حسين يوسف السنوي







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

### تمهيد وتقديم:

لقد أَحْبَبْتُ أَنْ أَلِمَّ في هذه الكلمة ببعض الأمراض  
الزوجية التي هي علة العلل في حياتنا الاجتماعية إلماماً في  
غاية الاختصار، فبعض هذه الأمراض بحثها وتفصيلها لا تناله  
محاضرة ولا اثنتان.

والمرأة سِرُّ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>، ومظهر موادها المختلفة في طريقتها  
الْمُتَدَاوِرَيْنِ، من الشيء ونقيضه، هذان الطريقتان اللذان يتدبران  
على كُرَّةِ الحياة من مركز واحد، هما لا بُدَّ مجتمعان في نقطة  
واحدة، ولكن على نصف الكرة الثاني.

(١) وفي الحديث، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عنه  
صلى الله عليه وآله وسلم: «الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ  
الصَّالِحَةُ». رواه أحمد (٢/١٦٨)، ومسلم (١٤٦٧).

ولعلَّ مِنْ أَمْلَحَ ما قرأْتُه عن المرأة السوء ما رَوَوْا عن أبي  
مسلم الخراساني<sup>(١)</sup>، قالوا: جيء إليه بفَرَسٍ من كرائم الخيل  
العَرَاب فأعجب به، وقال لجلسائه: أتدرون لماذا يصلح هذا؟

قالوا: للجهاد . قال: لا .

قالوا: للسباق . قال: لا .

قالوا: للزينة . قال: لا .

قالوا: فما نعرف غير هذا .

---

(١) أبو مسلم الخراساني: هو عبد الرحمن بن مسلم، وقيل في اسمه غير ذلك، صاحب الدعوة العباسية، هو شر من الحجاج وأسفك للدماء، قلب دولة وأقام دولة، وحكم في العرب والعجم، به قامت الدولة العباسية، كان فصيحاً بالعربي والفارسي، حلو المنطق، راوية للشعر، عالماً بالأمور، لم ير ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته، قتله أبو جعفر المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة. انظر: لسان الميزان ١٠٠/٢، والوافي بالوفيات ١٠٦/٦ .

قال: إِنَّهَا يَصْلَحُ لِلْفِرَارِ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ<sup>(١)</sup>.

(١) انظر القصة في: حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢١٨/١.

والمراة السوء من شقاوة ابن آدم، كما قال ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ، مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكِنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ» رواه أحمد (٥٥/٣).

وفي عيون الأخبار لابن قتيبة ٤٠٦/١: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: مَثَلُ الْمَرْأَةِ السُّوءِ: كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ لَهُ امْرَأَةٌ سُوءٌ فَعَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بَأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ لَكَ ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ فَسَلْ مَا شِئْتَ مِنْ دُنْيَا أَوْ آخِرَةٍ، ثُمَّ نَهَضَ. فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ؛ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا لِي أَرَاكَ مَفْكَراً مَحْزُوناً؟ فَأَخْبَرَهَا؛ فَقَالَتْ: أَلَسْتُ امْرَأَتَكَ وَفِي صَحْبَتِكَ وَبَنَاتِكَ مِنِّي! فَاجْعَلْ لِي دَعْوَةً. فَأَبَى فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَدَهُ وَقُلْنَ: أَمْنَا، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَالَ: لَكَ دَعْوَةٌ؛ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً. فَصَارَتْ كَذَلِكَ، وَجَعَلَتْ تَوَطُّعَ فَرَاشِهَا وَهُوَ يَعِظُهَا فَلَا تَتَّعِظُ، فَغَضِبَ يَوْمًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا خَنْزِيرَةً فَتَحَوَّلَتْ كَذَلِكَ؛ فَلَمَّا رَأَى بَنَاتَهُ مَا نَزَلَ بِأَمْهَنَ بِكَيْنٍ وَضَرْبِنَ وَجُوهَهُنَّ وَنَتَفَنَ شَعُورَهُنَّ، فَفَرَّقَ لَهْنُ قَلْبِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعِدْهَا كَمَا كَانَتْ أَوَّلًا؛ فَذَهَبَتْ دَعَوَاتُهُ الثَّلَاثُ فِيهَا.

والحياةُ الدُّنيا: رَجُلٌ، وامرأة .. إذا تَمَّتْ لهما معاً معاني  
الإنسانية الخاصة بكلِّ نوعٍ على حسبهِ، وما هو مخلوق من أجلهِ،  
تَمَّتْ هذه الحياة وبَدَتْ في صورتها التي خلقها الله عليها، كاملة  
في كُلِّ وجوهها، ماضية في طريقها تؤدِّي مهمتها كما هي وكما  
يجب أن تكون.

أمّا إذا لابس هذه المعاني شيءٌ من النقص في ناحية ما،  
شُوِّهَتْ هذه الحياة وبَدَتْ قبيحة ملعونة من طرفيها جميعاً،  
وعرجت إلى سبيل النقص الذي لا يمكن معه تأدية هذه المهمة  
على وجهها، فينتقص حَجَرُ السعادة منها، ثُمَّ تأخذ الحوادث  
اللواتي تأتي مُتَرَعَاتٍ بسوء الطرفين في زلزلته، حتّى إذا اعتسف  
هذا النقص واستبدَّ اشتدت الزلزلة، فسَقَطَ الحجر، وشُقَّت  
العصا...!

وليس عجيباً أن تكون الحياة السعيدة رجل وامرأة، ولا  
تكون أموالاً وقصوراً ولا متاعاً وزينة. فقد والله بُلي هذا الثوب من  
السعادة الفقيرة .. ولم يبق فيه مسكة للافق، ولا لفقة لممسك.



وَأَحْسَبُ أَنَّ السَّعَادَةَ قَدْ تَفَرُّ مِنْ قَصْرِ شَامَخٍ مُتَكَبِّرٍ، إِلَى  
كُوخٍ حَقِيرٍ مُتَوَاضِعٍ، تَرْفُ فِيهِ بِنْدَى الْحَيَاةِ الصَّحِيحَةِ عَلَى زَهْرَةٍ  
ضَمِيرِ الزَّوْجَيْنِ الْفَقِيرَيْنِ، فَإِذَا هُمَا فِي السَّعَادَةِ وَعَلَى السَّعَادَةِ  
وَمِنْهَا وَإِلَيْهَا يَمْضِيَانِ، وَإِذَا قَلْبُهُمَا طُورٌ نُورَانِيٌّ مُسْتَوْرٍ، لِمُنَاجَاةِ  
نَفْسَيْهِمَا هَذَا الْمَعْنَى الرُّوحَانِي السَّامِي، حَتَّى إِذَا تَجَلَّتْ أَنْوَارُهَا،  
وَأَشْرَقَتْ شَمْسُهَا الضَّاحِكَةُ عَلَى هَذَيْنِ الْقَلْبَيْنِ، رَجَفَا رَجْفَةً  
الْحَمْدِ نَاطِقَيْنِ، وَدَقَا طَبُولُ الْبَشَارَةِ خَافِقَيْنِ.

الموضوع نفسانيٌّ مُحَضَّ، قَاعِدَتُهُ الْحُبُّ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، الْحُبُّ  
الشَّرِيفُ الزَّوْجِي لَا غَيْرُهُ ..

وَالْحُبُّ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الْغَيْبِ الْمَعْجِزِ، تَبْنِي عَلَيْهِ دَعَامَةَ  
الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ طَرَفٍ وَتَنْهَدِمُ مِنْ طَرَفٍ آخَرَ، وَهُوَ قَوَامُ الْعِمْرَانِ  
فِي الْجَمَاعَةِ الْعَالَمِيَّةِ، مِنْ زَوْجَيْنِ، وَأَخْوَيْنِ، إِلَى رَفِيقَيْنِ، إِلَى أُمَّتَيْنِ،  
إِلَى قَارَتَيْنِ وَعَالَمَيْنِ .. حَتَّى إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ..!

ثقوا - يا سادة - أنه لولا الحبُّ لما أخذت الدُّنيا زخرفها  
وازينت، لا أريد زخرفاً وزينةً نفسيةً بين قلبين، تهرم السعادة فيهما  
على شبابها، بما ينزل على رأسها من دقات، وتترهب بما تسمعه  
فيهما من أصوات نواقيس هذه الصدور المضطربة الثائرة، ولكن  
زخرفاً وزينةً من العلم وأثره بين ما يحمله لفظ اثنين مطلقاً، أفلا  
ترون أنَّ من الحب جهدنا في أن نخاطب المريخ، ونكشف عالم  
القمر...؟

\*\*\*

## أُسُسُ الحياة الثابتة:

وهناك لبناء هذه الحياة الثابتة المتهللة بِشراً وسعادةً أُسُسٌ وقوائم فرعية، كُلُّها متشعبةٌ عما يحملها الحبُّ من خلائق:

(١) التسامح.

(٢) والتعاون.

(٣) وتقدير الواجب.

(٤) وزنة المناسبات.

ونريد أن نتكلم في إيجاز عن كُلِّ عنصر من هذه العناصر وأثره في الرابطة الزوجية، وأثر هذه الرابطة الحيّة في الجامعة الإنسانية.

## مَثَلٌ لِلْمَرْأَةِ وَمَثَلٌ لِلرَّجُلِ:

ولنذكر قبل هذا مَثَلاً مِنْ أمثال المرأة العربية تَرَوْنِ فيه الزوجة في أرقى معانيها، وأبلغ أساليبها، ومَثَلاً آخرَ للرَّجُلِ في أجمل مراتبه وأعلى أمثاله.

فقد حكوا أَنَّ « شَرِيحاً »<sup>(١)</sup> أحد القضاة المعروفين بَنَى بفتاة  
من بني تميم. قال: أَذْخَلْتُ عَلَيَّ فَقُلْتُ: إِنَّ من الحسن إذا دخلت  
المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين، فيسأل الله مِنْ خَيْرِهَا،  
ويعوذُ بِهِ مِنْ شَرِّهَا، فَصَلَّيْتُ وَسَلَّمْتُ، فإذا هي خلفي تُصَلِّي  
بصلاتي .

فلَمَّا خلا البيت دَنَوْتُ منها فمددتُ يدي إلى ناحيتها،  
فقالَتْ: عَلَى رِسْلِكَ<sup>(٢)</sup> يَا أبا أُمَيَّةَ كما أَنْت .

(١) هو شَرِيح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أُمَيَّةَ، من أشهر  
القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أدرك الجاهلية، وُيَعَدُّ في كبار  
التابعين، كان قاضياً لِعُمَرَ رضي الله عنه على الكوفة، ثُمَّ لِعُثْمَانَ  
وعلي رضي الله عنهما، ولم يزل قاضياً إلى أن استعفى في أيام الحجاج  
فأعفاه سنة ٧٧ هـ، ولي القضاء ستين سنة، وكان من أعلم الناس  
به، ثقةٌ مأموناً، ذا فطنة وذكاء، عُمِّرَ طويلاً، وتوفي رحمه الله بالكوفة  
سنة ٧٨ هـ - ٦٩٧ م، رحمه الله. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد  
١٣١/٦، والإصابة في معرفة الصحابة ١١/٢، ١٢.

(٢) على رِسْلِكَ: بكسر أوله، أي: اتند ولا تعجل، على هَيْتِكَ، على مَهْلِكَ  
(بفتحتين). انظر: مادة (رسل) في لسان العرب، والمعجم الوسيط.



ثُمَّ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى  
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، إِنِّي امْرَأَةٌ غَرِيبَةٌ، لَا عِلْمَ لِي بِأَخْلَاقِكَ فَيَنْبَغُ لِي مَا تَحِبُّ  
فَأَتِيهِ، وَمَا تَكْرَهُ فَأَتْرُكُهُ، وَإِنَّهُ كَانَ لَكَ فِي قَوْمِكَ مَنْ تَتَزَوَّجُهُ  
مِنْ نِسَائِكَ، وَفِي قَوْمِي مِنَ الرِّجَالِ مَنْ هُوَ كُفَّاءٌ لِي، وَلَكِنْ إِذَا  
قَضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ، وَقَدْ مَلَكَتْ فَاصْنَعِ مَا أَمَرَكَ بِهِ اللَّهُ، إِمْسَاكِ  
بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِخِي بِإِحْسَانٍ، أَقُولُ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ .  
قال: فَأَحْوَجْتَنِي وَاللَّهُ إِلَى خُطْبَةٍ .

فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ  
وَآلِهِ وَأُسَلِّمُ، وَبَعْدَ، فَإِنَّكَ قُلْتَ كَلَامًا إِنْ تَثَبَّتِي عَلَيْهِ يَكُنْ ذَلِكَ  
حِظُّكَ، وَإِنْ تَدْعِيهِ يَكُنْ حِجَّةٌ عَلَيْكَ، أَحِبُّ كَذَا وَكَذَا.. وَأَكْرَهُ  
كَذَا وَكَذَا.. وَمَا رَأَيْتُ مِنْ حَسَنَةٍ فَانْشُرِيهَا، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ سَيِّئَةٍ  
فَاسْتُرِيهَا .

فَقَالَتْ: كَيْفَ مَحَبَّتُكَ لَزِيَارَةِ أَهْلِي؟  
قُلْتُ: مَا أَحَبُّ أَنْ يَمْلَنَنِي أَصْهَارِي .

قالت: فَمَنْ تَحَبُّ مِنْ جِيرَانِكَ أَنْ يَدْخُلَ دَارَكَ فَاذَنْ لَهُ وَمَنْ تَكْرَهُ فَأَكْرَهُه؟

قلتُ: بنو فلان صالحون، وبنو فلان قومٌ سوء.  
قال: ومكثتُ معها حَوْلًا لَا أَرَى إِلَّا مَا أَحَبُّ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ الْحَوْلِ جِئْتُ فَإِذَا عَجُوزٌ تَأْمُرُ وَتَنْهَى فِي الدَّارِ.  
قلتُ: مَنْ هَذِهِ؟ قالوا: فُلَانَةُ خَتْنُكَ<sup>(١)</sup>.

فسري عني ما كنت أجد، وما إن جلستُ حتَّى أَقْبَلْتُ الْعَجُوزَ فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ وَقَالَتْ: كَيْفَ رَأَيْتَ زَوْجَكَ؟  
قلتُ: خير زوجة.

فقالت: يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَكُونُ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهَا فِي حَالَيْنِ: إِذَا وَلَدَتْ غُلَامًا، أَوْ حَظِيَّتْ عِنْدَ زَوْجِهَا، فَإِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فَعَلَيْكَ بِالسُّوْطِ، فَوَاللَّهِ مَا حَازَ الرِّجَالُ فِي بَيْوتِهِمْ شَرًّا مِنَ الْمَرْأَةِ الْمَدْلَلَةِ.

---

(١) خَتْنُكَ: أي صهرك، أم زوجك. وقال الأزهري: الأختان من قبل المرأة، والأخماء من قبل الرجل، والأصهار يعمهما. انظر: المصباح المنير ١/١٦٤، والنهاية لابن الأثير ٢/٢٠.

قلتُ : أما والله لقد أدّبت فأحسنت الأدب ، ورضيت  
فأحسنت الرياضة .

قال : فمكثتُ مع زوجتي عشرين عاماً على خير ما يرام ،  
وكانت ختني تأتيني على رأس كلِّ حَوْلٍ مرّةً توصيني بمثل  
هذا <sup>(١)</sup> .

هذا مثْلُ يستحي الإنسان أن يتمناه في أيامنا هذه ، أفلا  
تحسن الوزارة صنْعاً لو أنها قرّرتَه مادةً في مدارس البنات !!  
أما مثْلُ الرَّجُل فلنقتضيه ، ونذكر أن عُمَرَ رضي الله عنه  
منع رجلاً أن يكون عاملاً على ولايةٍ لأنّه عرف أنّه شديدٌ على  
زوجه وبنيه .

وكان رضي الله عنه يقول على ما هو فيه من صلابَةٍ ومناعةٍ :

---

(١) قصة القاضي شريح مع زوجه وختنه : رواها ابن عساكر في تاريخ  
مدينة دمشق ٥٢/٢٣ ، ٨٨/٥٥ ، وهي في : التذكرة الحمدونية  
١٣٥/٣ ، والعقد الفريد ٤٢٥/٢ .

ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده  
وُجد رجالاً<sup>(١)</sup>.

وكان النبي عليه السلام يقول: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا  
خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي »<sup>(٢)</sup>، وكان إذا خلا إلى أهله شاركهن حتى في  
خدمة الدار<sup>(٣)</sup> من غير ما استنكاف أو استكبار.

(١) كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا  
والدينوري وعبد الرزاق كما في كنز العمال ٤٥٩١٨، وابن عساكر في  
تاريخ دمشق ٣٣١ / ١٩، وهو في: الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام  
(ت ٢٢٤هـ) ص ٢٩، وإحياء علوم الدين للغزالي ٤٤ / ٢.

(٢) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ٧٥ / ٢، عن عائشة رضي الله عنها،  
ولفظه: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي »، ورواه  
الترمذي ٧٠٩ / ٥، وصححه، وابن حبان في صحيحه ٤٨٤ / ٩،  
عنها أيضاً قالت: قال رسول الله: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ  
لِأَهْلِي »، وروى الترمذي ٤٦٦ / ٣، وصححه، عن أبي هريرة رضي  
الله عنه، ولفظه: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ  
خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا ».

(٣) روى البخاري ٢٣٩ / ١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون في  
مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.



## ١) التسامح:

ولنتكلم إذن على موضوعاتنا الأربعة التي رأينا فيها جماع  
الأدواء الزوجية وأدويتها، ولنبدأ بالكلام على التسامح.

وليس في نفسي أن أضبط حَدَّه وموضوعه، فإني أخشى أن  
يدخل فيه ما ليس منه، أو يخرج منه ما هو فيه، ورجال المنطق  
- أعزهم الله - لا يغفرون ذنباً، ولا يتجاوزون عن سيئة،  
وصاحبكم ليس من هذا بسبيل، ولا يُعرَفُ التسامح إلا أنه  
التسامح، كما تشعر به النَّفْسُ السَّليمةُ في مناسباته ومقتضياته.

فَهَبُ المرأة توانت في حقٍّ أو قَصَّرت عن واجب، ثُمَّ أنت  
تَسَامَحْتَ وأَلْفَتَ، ونقول: تَسَامَحْتَ وَأَلْفَتَ، لا هَدَدْتَ وَأَنْذَرْتَ  
وَأَبْرَقْتَ وَأَزْعَدْتَ، مما يُوجد القسوة، ويميت قوة الشعور،  
ونقول: تَسَامَحْتَ، وليس المعنى: أَهْمَلْتَ.

أفلا يكون من هذا وازعاً لتأنيب الإحساس، وتنمية هوى  
المحبة أن تسير على وتيرتها، وإشعاراً للمرأة بتقصيرها في أبلغ

عبارة من النَّفسِ الصَّامِتة، أو المَسَامِرَة، مما يبعث فيها الحس  
على هيئة السَّكِّين تحز في الضمير حَزًّا، ويقيني أنها تنتظر سنوح  
الفرصة لرأب هذا الصدع المؤلم، ووضع البلَّسم المريح لجرح  
النَّفس الذي ما يزال يوخزها ويقلقها.

وإِنَّكُمْ - أَيُّهَا السَّادَة - لَمُدْهُشُونَ، إذا علمتم أَنَّ خَرَابَ  
بَيْتٍ، وَيَتَمُّ وَلَدٍ، وَتَشْتِيتَ جَمْعٍ، وَكُلَّ مَا هُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى، ربما  
كَانَ أَصْلًا فِيهِ تَأْخِيرُ الْغَدَاءِ عَنْ مَوْعِدِهِ هَنَّةٌ مَا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرَأَةِ،  
أَوْ طَلَبُ مَطَالِبٍ فِي ظَرْفٍ لَا يَتَسَقُّ لَطَلِبِهَا مِنْ نَاحِيَةٍ، أَوْ سَوْءُ  
فَهْمٍ عِبَارَةٌ مِنْبَعَثَةٌ عَنْ قَصْدٍ حَسَنٍ، أَوْ تَعْدَادٌ لِلزُّومِيَّاتِ فِي وَقْتٍ  
عَابَسٍ، أَوْ خَطَأٌ فِي حَالٍ بِخُصُوصِهِ هُوَ مِنَ الضَّعَةِ وَالْحَسَّةِ بِحَيْثُ  
يَكُونُ عِنْدَ بَعْضِ الطَّبَقَاتِ مِمَّا أَسْتَحْيِ أَنْ أَذْكَرَهُ لِأَنَّهُ حَقِيرٌ جَدًّا  
وَكَثِيرٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ، وَأَظُنُّنَا كُنَّا نَعْرِفُهُ، وَهَذَا أَكْتَفِي.

وَلَا بُدَّ أَنْ أَقُولَ هُنَا: إِنَّ أَشَدَّ مَا يُوْلِمُ الْمَرَأَةَ الشَّرِيفَةَ وَيُفْسِدُ  
نَفْسَهَا، مَا يَزِينُهُ لَنَا الْغُرُورُ، أَوْ سَوْءُ الظَّنِّ، أَوْ الْبَخْلُ وَالتَّقْتِيرُ،

فنضيّق الخناق، ونحكم الحلقة، وندقق الحساب، ونضع حكومة  
للكبيرة والصغيرة، ونتدخل بأكثر مما هو لنا في الخصوصيات  
المنزلية، أو الأسرار النسوية.

وقد أذكرُ الدينُ مَبْلَغَ هذا في إفساد خُلُقِ المرأة فنَهَى عن  
تتبع عورات النساء، وعن التجسس والتنقيب والمضايقة، فيما لا  
يفسد المصلحة ولا يؤذي الشرف، وأَوْجَبَ أن تنشق المرأة نسيم  
الحرية في خصوصياتها التي لا تضر، وكُلُّنا يعرف وَجَهَ هذا في  
حفظ كيان البناء الزوجي وتعميره، بحيث لا تَشْعُرُ المرأة منه  
بِضِعَةِ الرَّجُلِ وفُضُولِهِ على ما ليس له.

وإنَّنا على يقين من أنَّ مثل هذه المعاملة من أشدِّ الأمراض  
فتكاً بحياتنا الزوجية، وهذا وحده هو سبب تآكل الصِّدْقِ  
الزوجي وخراب بنائه.

ثمَّ هناك أمران - إنَّ صَحَّ أن يكون التسامح في كُلِّ شيءٍ،  
فإنَّنا نكره أن يكون فيهما لفظه أو معناه، هذان هما:

(١) العَرُضُ .

(٢) والدِّينُ .

العَرُضُ: وهو تاج الكمال البشري، ووديعَةُ السَّمَاءِ في  
الإنسانية الطاهرة، وَحَبْلُ الصَّلَاةِ بين النَّفْسِ ونورها الإلهي  
الشَّريف، الذي هو منبعث جلالها وجلالها وعلوها وشفافها عن  
معاني الرُّوح، في هذا الهيكل الجثمانى الكثيف.

والدِّينُ: في أصوله البينة الصحيحة، وأمّهات سننه التي تحد  
لكل من الجنسين حقوقه تامة فيما له وما عليه، ذلك هو الحارس  
الأمين المذهب الحكيم الذي يقول فيه بعض الفلاسفة (دارون):  
لو لم يكن في النَّاسِ دِينٌ لوجب أن يوجد لهم دِينٌ لحفظ كيان  
العمران وبقائه.

وإنَّه لن تكون قاعدة الخلط الكيميائي على قانون مطرد ونسبة  
وكَيْفٍ واحدٍ في تركيب أيِّ الأشياء حتَّى يمكن أن نسوق قاعدة  
التسامح في نستقها هذا إلى كُلِّ طريق يمكن أن تكون فيه.

على أنَّ المرأة في نفسها وهي حاکمة هذه المملكة المنزلية  
الودیعة، إن استتبع هذه القاعدة (قاعدة التسامح) عینها مع  
زوجها في حالات الشذوذ الضروري للزوج، وفي سویعات  
ضيافة الشیطان الرجیم، خُلِقَ فیما بینهما تیارٌ نورانیٌّ یحفظ توازن  
الزوجیة، ویغذي نفسیها بما هو الغیب من السَّعادة، التي ما تزال  
تمد هذا التیار حتَّى یقوی فیکون منه أول أسباب التعاون.

فحقُّ المرأة والرجل في التسامح سَوَاءٌ لکُلِّ منهما على الآخر،  
إذا شاء أن یعیشا کما یعیش الناس النَّاعمون.

ولننظر إلى أيِّ حَدٍّ بلغ التسامح من قلوب نساء العرب  
الأبیَّاتِ الضَّیِّم، مما لا تتطاول إليه أعناق نساتنا الیوم.

قال الأصمعي: دَخَلْتُ البَادِيَةَ فإذا أنا بامرأةٍ من أحسن  
النَّاس وجهاً تحت رَجُلٍ من أقبح النَّاس وجهاً، فقلتُ لها: يا هذه  
أَتَرْضين لِنَفْسِكَ أن تكوني تحتِ مِثْلِ هذا.

فقالت: يا هذا اسكت، فقد أسأت في قولك، لعلَّه أَحَسَنَ

فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه، أو لعلّ أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عُقُوبتي، أفلا أَرْضَى بما رَضِيَ اللهُ لي.

قال الأصمعي: فأسكتني<sup>(١)</sup>.

قُلْتُ: لَيْتَ الأصمعيَّ رجاها أن تُلقِيَ هذا الدَّرْسَ في إحدى مدارس البنات بمصر.

\*\*\*

## ٢) التعاون:

ثُمَّ لتتكلّم في موضوع « التعاون »:

قد تعلمون - يا سادة - أنّ « التعاون » شيءٌ أوليٌّ جداً، ملحوظٌ في الفكرة الزوجية قبل أن تكون أمراً واقعاً، وهو كـ « التسامح » يفيد المفاعلة من الجانبين على حدّ ما يقوله النحويون، بالقدّر الذي تقوم به مكانتهما، ويحفظ شخصاهما، ويُبقي على سعادتهما، ويقرّ حقيهما في حدوده.

---

(١) انظر كلام الأصمعي في: إحياء علوم الدين ٥٩/٢.

ولعلَّ أول ما يُغري به الشَّاب على الزواج تمنّيته  
بالزميلة المعاونة التي تساعد على مهام الحياة باليد واللسان،  
وتحمل عنه بعض الشيء مما هو على كاهله من شئون العيش  
المتعبة، ثمَّ لعله لا ينجو من القول بأنَّ القسط الواحد في  
العزوبة كافٍ لسداد قسطين مع الزواج، وكُلُّ طبقة من النَّاس  
في هذا بحسبها.

وربما رأيت أنَّ من التعاون هذا القصص الظريف بين  
الزوجين، والسَّمَر<sup>(١)</sup> الحلو الجميل الذي ينزع عن القلب ثوبَ  
هَمٍّ انساق أو أَلَمٍ نَزَل، ولعلَّ أضعف أنواع المعاونة هنا، أو إنَّ  
شَتْمَ أفعَلَهَا في النَّفس « قُبْلَة » طاهرة فيها كُلُّ أنواع التَّسَلِّي عن  
حوادث الدُّنيا وأنقال الحياة .

---

(١) السَّمَر: المسامرة، الحديث بالليل، وأصل السمر: لون ضوء القمر،  
لأنهم كانوا يتحدثون فيه، والمكان الذي يجتمع فيه الناس ليلاً:  
سامر. انظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٠٠، القاموس المحيط ١/ ٥٢٥  
مادة (س م ر).



أَمَّا التعاون اليدوي - إنَّ صَحَّ هذا التعبير - فَأَمْرٌ مَعْهُودٌ  
مَقْصُودٌ لِدَاثِهِ فِي بَعْضِ الطَّبَقَاتِ.

وَأَنَا شَخْصِيًّا لَسْتُ أَفْهَمُ مِنْ مَعْنَى التَّزَاوُجِ هَذَا الِاسْتِمْتَاعَ  
الْحَيَوَانِي، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَفْهَمُ هَذَا أَبَدًا حَتَّى فِي الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ.

أَمَّا أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ هِيَ الْمَرْأَةُ عَلَى هَذَا الْقَانُونِ الْمُخْزِي، فَهَذَا  
مَا يَنْحَطُّ بِهَا أَنْحِطَاطًا مُشِينًا لَا تَرْضَاهُ هِيَ لِنَفْسِهَا، وَإِنْ رَضِيهِ  
النَّاسُ، فَتَرَاهَا مِنْ هُنَا مَسَاقَةً مِنْ نَفْسِهَا لَوْ تَدَبَّرَتْ إِلَى الْعَمَلِ  
التَّعَاوُنِيِّ حَتَّى تَحْقُقَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا لَمْ تَخْلُقْ فَحَسَبَ لِهَذَا الْمَعْنَى الْمُهِينِ  
الْمُؤْلِمِ، مَعْنَى قِضَاءِ الْحَاجَةِ وَخِدْمَةِ الْمُخْدَعِ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السَّرُّ  
فِي طَلِبِهَا مَسَاوَاةِ الرِّجَالِ.

وَلَقَدْ يَكُونُ مِنَ التَّعَاوُنِ عِنْدَ سَادَتِنَا الْعَلِيَّةِ السَّرَاةُ: إِشْرَافُ  
الزَّوْجَةِ عَلَى الْخِدْمِ، وَإِدَارَةُ الْمَنْزِلِ، وَتَعَهُّدُهَا بِوَجْهِهِ بَعِيدًا عَنْ  
الرَّجُلِ وَمَهَامِهِ فِي الْخَارِجِ.

وَتَقْوَا - يَا سَادَةَ - أَنْ فِي مُكْنَةِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَعَاوُنَ زَوْجَهَا مَعُونَةً

ترفعه إلى أعلى ما استطاع، وفي يدها أن تراوغه، وتتلون عليه،  
وتحتال له، حتّى تضعه في حضيضٍ لا ينهض منه بعد، وتراها  
بعد المصيبة بريئة ما اقترفت ذنباً ولا اكتسبت إثماً، وتلك قاعدة  
عامة في كلّ الطبقات، لا فضل لإحداها قط.

أَفَلَا تَرَوْنَ أَنَّ فِي طُوقِ امْرَأَةٍ «فُلَانِ بَاشَا» أَنْ تَنْزَلَ عَنْ  
جَبْرُوتِهَا قَلِيلاً، فَتُكْتَفَى بِعَدَدٍ مِنَ الْخُدَمِ، وَقَدَرٍ مُحْدُودٍ مِنْ بَضَاعَةِ  
«هَات»، وَتُسْتَدَرِ التَّدْبِيرِ حَيْثُ سَنَحَتْ فِرْصَتَهُ، فَتَرْحِمَ الرَّجُلَ  
مِنْ رِصَاصَةِ كُلِّ «مُؤَصَّة»<sup>(١)</sup> أَنْ تُصِيبَ مَقْتَل «جَبِيه»، وَلَا  
تَسْلُطَ عَلَيْهِ «مَيَكْرُوب» كُلَّ نَزْغَةٍ مِنْ نَزْغَاتِ الْهَوَى تَخَالِجُ  
صَدْرَهَا، فَتَرْمِيهِ بِهَا، فَيَتَأَكَّلُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ كَمَا يَتَأَكَّلُ الْبِنَاءُ، تَسْلُطُ  
عَلَى قَوَاعِدِهِ الرُّطُوبَةُ الْفَاتِكَةُ، فَمَا يَزَالُ قَائِماً شَامِخاً الْأَنْفَ تَشْرُبُ  
الْأَعْنَاقَ إِلَى أَعَالِيهِ، حَتَّى إِذَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ فِي أَسَافِلِهِ  
سَقَطَ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

---

(١) مُؤَصَّةٌ أَوْ مُودَّةٌ: كَلِمَةٌ أَصْلُهَا فَرَنْسِي «mode»، وَتَعْنِي: أَزْيَاءٌ سَائِدَةٌ،  
كَمَا تَعْنِي: آخِرُ صِيحَةٍ، وَأَحْدَثُ صَرَعَةٍ، وَبَدْعَةٍ وَنَمَطٍ أَوْ طَرِيقَةٍ.

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا

أَنِيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ<sup>(١)</sup>

فِي طَوْقَهَا هَذَا، وَفِي طَوْقَهَا أَنْ تَكُونَ فِي مَنْزِلِهَا غَيْرَهَا فِي  
خَارِجِهِ، فَتَخْلُقَ مِنَ الرَّجُلِ رَجُلًا آخَرَ، مَا يَزَالُ يَعْلُو وَلَا يَنْحَطُ،  
وَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي الطَّبَقَاتِ الْمُتَوَاضِعَةِ، لَيْسَ هُوَ بَعِيبٌ وَلَا  
حَرَامٌ، وَلَا فِيهِ إِلَّا مِنَ أَلْوَانِ الرَّحْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَصَانِيفِهَا كُلُّ جَمِيلٍ  
وَمُحَمَّدٍ خُلِقَتْ الْمَرْأَةُ لَهُ، فَمَا تَنْبُو عَنْهُ وَلَا تَنْتَصِلُ مِنْهُ.

لَسْنَا نَفْقَهُ مِنْ مَعْنَى الْجَمْعِ الْإِثْنَيْنِ<sup>(٢)</sup> إِلَّا مَا هُوَ لَهُ، وَمَا  
هُوَ فِيهِ، وَمَا هُوَ مِنْهُ، كَمَا قَرَّرَهُ النَّامُوسُ الْأَزَلِيُّ الْأَعْلَى لِلْخَلِيقَةِ.

(١) الْبَيْتُ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ، وَقَائِلُهُ هُوَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْجَرَهْمِيُّ،  
قَالَهُ يَتَذَكَّرُ بِهِ أَيَّامَ كَانُوا بِمَكَّةَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْهَا. وَالْحُجُونُ: مَكَانٌ  
مَعْرُوفٌ بِمَكَّةَ. وَالصَّفَا: جَبَلُ الصَّفَا الَّذِي مِنْهُ يَبْدَأُ السَّعْيُ. وَالسَّامِرُ:  
الْمَكَانُ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ فِيهِ لَيْلًا عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ يَسْمُرُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ.  
وَهَذَا الْبَيْتُ يَضْرِبُ مَثَلًا لِتَحَوُّلِ الْحَالِ، وَتَلَاثِي الشَّيْءِ بَعْدَ وَجُودِهِ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ.

(٢) الْجَمْعُ الْإِثْنَيْنِ: الْمَقْصُودُ بِهِ الشَّرَاكَةُ وَالشَّائِيَّةُ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الزَّوْجِ  
وَالزَّوْجَةِ، حَتَّى كَأَنَّهَا وَهْمَا اثْنَانِ شَيْئًا وَاحِدًا.

وَأُقْسِمُ لو شاءت المرأة أَنْ تَتَّصِفَ بشيءٍ من القناعة تدلُّ به  
على رِفْعَةِ نَفْسِهَا وَشَرَفٍ مُحْتَدِّهَا لكان لها من نَفْسِهَا وازْعٌ أيما  
وازع إلى العمل الاقتصادي والعيش التعاوني الصحيح.

وإن كُنَّا انحدرنا بأكثر هذا الباب إلى ناحية الزوجة، فلائِها  
هي مادته لا محالة، يصلح ويفسد تبعاً لها، وفيه رضا الله والنَّاس،  
ويقول سيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ  
مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ، كان لها أَجْرُهَا بما أَنْفَقَتْ، ولزوجها  
أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ، وللخازنِ مثْلُ ذلك، لا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ  
شَيْئاً»<sup>(١)</sup>.

وإنِّي لأرى الكَلِمَةَ الصَّالِحَةَ عوناً على فساد الخلق، والنظرة  
الصَّالِحَةُ عوناً على فساد النَّفْسِ، والمعاملة الصَّالِحَةُ عوناً على فساد  
الدُّنْيَا جميعاً، هذا بالمناصفة بين الزَّوْجَيْنِ، مما يوجد أَجْنَةَ الرحمة  
والعطف والحنان في بَطُونِ هذه النَّفُوسِ، بإرشادها إلى الْأَوْجِبِ  
وَالأَعْمَلِ في دُولاب الحياة الدائر.

(١) رواه البخاري (١٣٥٩، ١٣٧٣، ١٩٥٩)، ومسلم (١٠٢٤).

## السيدة فاطمة مثل للتعاون:

ونذكر هنا أَنَّ السَيِّدَةَ فاطمة بنت سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَتَتْ أَبَاهَا تَشْكُو إِلَيْهِ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَا، وَقَدْ بَلَغَهَا أَنَّهُ جَاءَهُ أُسْرَى، فَلَمْ تَلْقَهُ بِصَلَاةٍ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِلْسَيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَلَمَّا جَاءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ السَيِّدَةُ عَائِشَةُ بِمَا قَالَتْ السَيِّدَةُ فاطمة ..

وهنا يقصُّ لنا بقية القصة إِمَامُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا نَقُومُ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا»، فَجَاءَ فَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى بَطْنِي، فَقَالَ: «أَلَا أَذِلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَوْ أُوتِيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، فَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣١١٣، ٥٣٦١، ٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧). وفي بعض الروايات أن التكبير أربعاً وثلاثين.

وفي رواية، قال: « وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ مَا وَادَّعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطَوَّى  
بطونهم، لَا أَجِدُ مَا أَنْفِقُ عَلَيْهِمْ »<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أن فاطمة أشرف نساء العرب كانت تعمل في  
بيت زوجها، حتَّى تورمت يداها<sup>(٢)</sup>، وأبى والدها أن يعطيها من

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠٦/١). والصفة: سقيفة مظلمة كانت في  
مؤخرة مسجد النبي ﷺ في شمالي المسجد، كان يأوي إليها من فقراء  
المسلمين من ليس له أهل ولا مكان يأوي إليه، وهم نحو أربعائة من  
الصحابة، يزدون وينقصون.

(٢) ويوضح مقدار ما لاقت السيدة فاطمة رضي الله عنها من جهد  
ومشقة رواية أبي داود في سننه (١٥٠/٣)، عن علي رضي الله عنه،  
قَالَ: إِنَّهَا جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَرَتْ فِي يَدَيْهَا، وَاسْتَقَتْ بِالْقَرْيَةِ حَتَّى أَثَرَتْ  
فِي نَحْرِهَا، وَكَنَسَتْ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وآلِهِ وَسَلَّمَ خَدَمٌ فَقُلْتُ: لَوْ أَتَيْتَ أَبَاكَ فَسَأَلْتِيهِ خَادِمًا، فَأَتَتْهُ فَوَجَدَتْ  
عِنْدَهُ خَدَانًا فَرَجَعَتْ، فَأَتَاهَا مِنَ الْعَدِ فَقَالَ: « مَا كَانَ حَاجَتِكَ؟ ».   
فَسَكَتَتْ، فَقُلْتُ: أَنَا أُحَدِّثُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَرَّتْ بِالرَّحَى حَتَّى أَثَرَتْ  
فِي يَدَيْهَا، وَحَمَلَتْ بِالْقَرْيَةِ حَتَّى أَثَرَتْ فِي نَحْرِهَا، فَلَمَّا أَنْ جَاءَكَ الْخَدَمُ  
أَمَرْتُمَا أَنْ تَأْتِيَاكَ فَتَسْتَخْدِمَكَ خَادِمًا يَقِيهَا حَرًّا مَا هِيَ فِيهِ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: « أَتَقِي اللَّهُ يَا فَاطِمَةُ، وَادِّي فَرِيضَةَ رَبِّكَ، وَاعْمَلِي =

السبي خادماً، وهي أحقُّ النَّاسِ، ليضرب المَثَلُ بهذا النسائنا، وما  
يجب أن يكنَّ عليه في بُيُوت الأزواج، فَهَلْ سمعنا بهذا؟!

### والسيدة أسماء مثل آخر:

وأَظْهَرُ مِنْ هَذَا مَا رُوِيَ عَنْ أَسْمَاء ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا، قَالَتْ: تزوجني الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا  
مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ فَرَسِهِ وَجَمَلِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَكْفِيهِ  
مُؤْنَتَهُ، وَأَسُوسُهُ، وَأُدِقُّ النُّوَى لَجَمَلِهِ وَأَعْلِفُهُ، وَأُسْتَقِي الْمَاءَ،  
وَأُخْرِزُ الدَّلُو، وَأُعْجَنُ..

= عَمَلُ أَهْلِكَ، فَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَسَبِّحِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي  
ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ فِتْلِكَ مِائَةً، فَهِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ  
خَادِمٍ». قَالَتْ: رَضِيتُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وآلِهِ وَسَلَّمَ.. فانظري - أيتها المسلمة - هذه سيدة نساء العالمين فاطمة  
بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ .. ويستفاد من الحديث أن  
الإيمان وأداء الفرائض والذكر (وهذا الذكر على وجه الخصوص) مما  
يعين ويفيد في تحمل المشاق ومتاعب الحياة .



وكنْتُ أحمِلُ النوى على رأسي من ثلثي فرسخ، حتَّى  
أرسلَ إليَّ أبو بكر بجارية، فكفتني سياسة الفرس، فكأنَّما  
أعتقني<sup>(١)</sup>.

ثمَّ لا نجد أنَّ أبا بكر قال للزُّبَيْر: إنَّ هذا العمل عليك لا  
عليها .. ثمَّ لم تكن هذه الخدمة خاصة بالفقراء دون الأشراف،  
بل كانت عامَّة في البيوت الإسلامية، فماذا يرى السَّادة العلماء في  
هذا؟ أهو ممَّا يؤيد حقَّ الزوج في الاستمتاع فقط؟!

---

(١) رواه أحمد ٣٤٧/٦، والبخاري ٤٩٢٦، ومسلم ٢١٨٢. وفي الأخير:  
«وَأَعْجِبْ وَلَمْ أَكُنْ أَحْسَنُ أَخْبِرُ وَكَانَ يَخْبِرُ لِي جَارَاتٌ مِنَ الْأَنْصَارِ  
وَكَُنْ نِسْوَةً صَدِيقٍ»، قَالَتْ: «وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي  
أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ عَلَى ثُلْثِي فَرَسَخٍ»، قَالَتْ: «فَجِئْتُ  
يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ  
نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: إِنْخِ إِنْخِ لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، قَالَتْ:  
فَاسْتَحْيَيْتُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَحَمْلُكَ النَّوَى عَلَى رَأْسِكَ  
أَشَدُّ مِنْ رُكُوبِكَ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ  
فَكَفَّتَنِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقْتَنِي».

ثُمَّ نَرَى الْمَرْأَةَ تَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ مَسَاوَاتِهَا بِالرَّجُلِ فِي الْخَارِجِ!!  
وَنَحْنُ لَا نَمْنَعُهَا حَقَّهَا، وَلَا نَغْضِبُهَا مَا هُوَ لَهَا، وَمَا يُمْكِنُ أَنْ تَفِيدَ  
بِهِ أَمَتَهَا، وَنَرَى أَنَّ هَذَا حَرَامٌ، وَلَكِنَّا نَشْفِقُ عَلَيْهَا فِي الْمَسَاوَاةِ أَنْ  
تَكُونَ حَدَادًا وَنَجَّارًا وَحَوْذِيًّا وَكَنَّاسًا..

وَلَا نَدْرِي بَعْدَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً مِنَ الرِّجَالِ  
أَيَنْزِلُ اللَّهُ مِنْ سَمَائِهِ خِدْمًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ، أَوْ يُخْلَقُ حِينَئِذٍ خَلْقًا  
جَدِيدًا، لَا هُوَ بِالرِّجَالِ وَلَا النِّسَاءِ وَلَا هُمَا مَعًا، لِيَقُومَ بِشُئُونِ  
الْبَيْوتِ، وَتَبْقَى الْمَرْأَةُ رَجُلًا فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا الْمَعْنَى الْحَيَوَانِيَّةَ  
الشَّائِنَةَ، وَلَعَلَّهَا تَطْلُبُ وَلَكِنْ مِنَ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ مَسَاوَاتِهَا فِيهِ،  
وإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُهُ أَنْ تَطْلُبَ مِنَ النَّاسِ الْمَسَاوَاةَ فِي هَذَا،  
وَلَوْ اعْتِبَارِيًّا.

وَإِنِّي لِأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَنْ هَذَا مَنْزِعٌ آخِرٌ<sup>(١)</sup>.

---

(١) قضية المرأة من أبرز قضايا العصر الحديث، اختلطت فيها المفاهيم،  
وحقيقتها دعوة سافرة إلى محاكاة الغرب، والسير على دربه، وترك  
المنهج الإسلامي في الحياة، الذي ضمن الله تعالى لنا فيه الخير =

إِنَّا نريد المرأة أن تكون امرأة قبل كُلِّ شيء، ثُمَّ لتكن بعد ذلك ما تشاء.

\*\*\*

= والصواب، وقد قام دعاة هذه المساواة بإلقاء عشرات الشبهات والدعاوى التي فندها علماء الإسلام.. وإن نظرة منصفة إلى الواقع نجد أن علاقة الرجل بالمرأة في أوروبا والغرب هي علاقة مادية، لا علاقة سكن ومودة ورحمة.. فانتشرت الجريمة والانتحار والأمراض النفسية والحسية، وتفشى الفساد الأخلاقي، وأهدرت كرامة المرأة وأصبح جسدها سلعة تباع، وعَمَّ الإدمان والزنا والرذيلة والاغتصاب والعنف الجسدي تجاه المرأة، وأصبح انتهاك الأعراض من المألوف اليومي، وواكب ذلك انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة كالإيدز والسرطان وغيرهما.. وعرض جسد المرأة في مجالات الدعاية والإعلان لإثارة الغرائز والشهوات، فهي سلعة تروج لسلعة أخرى، دون أي اعتبار أو تقدير لإنسانيتها وأدमितها.. والمحصلة النهائية هي مجتمع متشردم مُعَقَّد، لا أصل ولا مستقبل، ولا أسرة ولا عائلة، وكل ذلك باسم الحضارة والمدنية الحديثة والتقدم.. إلى آخر تلك المصطلحات الموضوعة في غير محلها، ثم يأتي بعد ذلك من يسعى جاهداً لتقليد تلك المجتمعات.

### ٣) تقدير الواجب:

ولعلنا نسميه « الوفاء »، فلست أرى الفارق إلا في النطق  
والحروف وصداهها، أما رجيع المعنى فهو في الاثنين شيء  
واحد.

وأوضح ما يكون هذا الخُلُق في المعاملة الزوجية.

والرحمة التي هي باعثُ المحبة أولى قواعده، الرحمة في  
الحديث، ولا تستهينوا بها يا سادة، ففي إمكانك أن تقول  
لزائرك: « تفضّل هنا » مثلاً، وفي إمكانك أن تقول له: « اجلس  
هنا » إلا أنه في الأولى يفيض سروراً ويحس بتقديرك إياه، وفي  
الثانية يتملاً نفرة، ويحس بإهانتك له، وكلتا الكلمتين تؤدّيان  
معنى واحداً، غير أنّ التعبير أثره في النفس مُسلّم به. فسياسة  
الكلام دعامة قيّمة في بناء المجتمع، ولا أظنكم تنسون أنّ دول  
الاستعمار أكثر ما تتاجر في سياسة الكلام وبنائه وهدمه وتجديده  
وإصلاحه.

ففي مُكْتَبِكَ أن تسيّر دفعة الأعمال في منزلك وأن تحكمه  
إحكاماً دقيقاً على صيغة « تفضّل هنا »، وأنت إلى كُلِّ هذا  
محبوبٌ ومهابٌ، وبملكك أن تديره على طريقة « اجلس هنا »،  
ولكنّك لا تضمن الدقة ولا الإحكام، ولا تأمن دغل القلوب  
وقهرها، ولا تملك الإخلاص في الطاعة.

ولا يمكننا التسليم بأنَّ حكم البيت على الطريقة الجبروتية  
الثانية خير أو أضمن للعاقبة وأبقى على رباط الزوجية من  
الطريقة الأولى، وناهيك بمنْ يحس بالجبروت يدفعه دفعاً، فيولد  
فيه الإحساس بقدر نفسه المستعبدة، ويهول عليه في هذا المعنى،  
حتّى يفك غل الكراهية المسجونة التي هي أمُّ الشقاق، ومادة  
النفاق، ومتى وجد هذا النفاق في الأسرة عمل معوله فيها حيثما  
اتفق، فهَدَمَ جِدَارَ المحبة من قلوب أفرادها، فتهدّمت قواعد  
السَّعادة وانهارت، وبقيت هذه الأسرة مرضاً خبيثاً في جسم  
المجتمع، تجب مداركته إن لم تجب محاربته.

وأقول: إنَّ هذا النفاق الذي أوجده المعاملة القاسية حتَّى  
استوى في الكلام والمحادثة، استوى في المعاملة، ومتى استوى في  
المعاملة فإنَّنا نعوذُ بالله من الخيانة الواسعة المُستَكْلِبة التي تُقدِّمُ  
رَجُلًا وتؤخِّرُ أخرى، ثُمَّ تدخل فتفسد وتستقر وتحتل وتستعمر،  
ثُمَّ لا سبيلَ بَعْدُ إلى الاستقلال...!!

### مَرَضُ السَّهَرِ:

والوفاء في المعاملة يسوقنا إلى أن نتكلم في مرضٍ اجتماعيٍّ  
فتَّاك، حَسَنَتُهُ العادة، وصَيَّرَتُهُ ضرورة من ضروريات الحياة،  
ذلك هو مرض السهر في الخارج، والعناية به إلى الحدِّ الذي  
يجعل البيت أشبه شيءٍ يُنْزَلُ للمبيت والنوم وما دونهما.

وتعلمون حضراتكم أنَّه لا لذة للمرأة وبنيتها، تعدُّ لذتها  
بحضرة أبي مجالسهما، فيَسْمُرُ طوراً، ويفاكه طوراً، يُعَلِّمُ طوراً،  
ويربي بحكاياته وقصصه طوراً آخر، ويجلس يواسي الضعيف،  
ويكسر شرَّة الفاجر، وينهج بهم نهج القصد، فيربط أنفسهم

بنفسيته، ويعقد بين أرواحهم وروحه، حتَّى يضطروا إلى الشعور  
بأنَّهم قطعة منه، لهم فيه وله فيهم، محبة وكرامية، فيما يحب وما  
يكره، ما دام الرَّجُلُ هو المَثَلُ الأعلى في بيته، وما دام البيت  
مطبوعاً على تقليد هذا المَثَل، حَسُنَ أو ساء.

ويسوءني جداً أن أُصرِّح بأنَّ المرأة - علَّتْ أو انحطتْ،  
استكبرتْ أو تواضعتْ - هي امرأةٌ بعينها، فيها كُلُّ ثورات  
المرأة، ولها عينٌ تنظر، وقلبٌ يخفق، وفؤادٌ يتألم فينقم ثمَّ ينتقم،  
واعتقد تماماً أنَّ فساد المرأة - أن تفسد في أخلاقها - أكثر ما  
يكون سبباً فيه الرَّجُلُ بإغفاله واجبها، وإهماله حقوقها النفسية  
(والجسمانية)، ورياضتها في الدار رياضة الأرقاء على أسلوب  
عال... وما أسرع ما تتأثر المرأة، وتغضب وتثور وتتهيج، ولا  
تجد أمامها إلا سبيل الشيطان الرجيم.. شيءٌ بشيءٍ، وكما يدين  
الفتى يُدان.

وقد لا أغلو - ما دُمْتُ أُلقي القضية من الواقع والمحسوس -  
إن قلت: إنَّ جَفَوَةَ الرَّجُلِ وقَسَوَتَهُ هي سبب الفساد الزوجي



غالباً، ولكم يزين له البُعْدُ عن داره وأهله وولده، ولا يكثر  
بحقِّ الإنسان الذي يحبسه في منزله ليهيئ له طريق المتاع بنوعيه،  
فلا يعيره حقَّ إجهاده، ويزيده بإغضائه وقسوته دخلاً وحفيظةً  
والأما.

يا سادتي: إنَّ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يقول:  
إِنِّي لِأَتَزِينُ لَزَوْجَتِي كَمَا تَتَزِينُ لِي، أَخْذًا هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:  
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] <sup>(١)</sup>، وإننا بشرُودنا  
عن البُيُوتِ لسنا فقط نوجد الحقد والحفيظة في قلوب نساءنا،  
بل وأولادنا الذين ما تزال أخلاقهم تفسد وتنحط نتيجة إهمال  
الأم، إجابة عملية لندائك العملي عليها.

ثُمَّ نَعْتَذِرُ بِمَا أَسْتَحْيِي أَنْ آتِي عَلَيْهِ، وَيُتِّكَ مِرَاتُكَ صَلاَحًا  
وَفَسَادًا، وَهُوَ صَدَى عَمَلِكَ، وَتَكْوِينُ يَدِيكَ، أَلَا ثِقَ أَنَّهُ كَيْفَمَا

---

(١) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازي ٨١/٦، وتفسير  
القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٢٣/٣.

تَكُنْ تَكُنْ امرأتك غالباً، وإن كان يؤلمني أن أُصرِّح بِمِثْل هذا،  
إلا أَنَّهُ الْحَقُّ الْمُرُّ الَّذِي لَا مَفْرَ مِنْ الْإِقْرَارِ بِهِ.

ومن هذا ما حكى المثنى بن زهير، وكان له وَلَعٌ بدراسة  
أحوال الحمام قال: كان عنده من الحمام حَمَامَةٌ إِذَا قَرِبَ مِنْهَا  
الذكر وهو غير زوجها اشتدت عليه وطردته، وأغلظت له حتَّى  
يصدف عنها، وفي يوم من الأيام رأى ذكراً من الحمام يقرب منها  
ويزف لها، فنامت ليسفدها.

قال: فسألتُ الخادم المختص بالحمام: ما الذي غَيَّرَ هذه عن  
خُلُقِهَا الْكَرِيمِ؟

قال: يا سيدي، إِنَّ زوجها غاب عنها منذ شهر.

قال: فقلتُ: لها عذرُها.

\*\*\*

## غيرة المرأة:

وإنَّ المرأةَ « غَيْرَى » إلى حَدِّ كبيرٍ ، وهذه الغيرة هي نواة الانتقام ، ولعله لا يغيب عن حضرتكم حوادث الانتقام التي تنشرها الصحف بين حينٍ وآخر من هذا القبيل ، وأبواب الانتقام شَتَّى لا نرى ذكرها ، إلا أنَّها في الغالب من باب مقابلة المِثْل بالمِثْل .

ويقولون: كَسَرَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ صَحْفَةَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها سبقتها في تقديم الطعام لأضياف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قالوا: ومع هذا فقد عَذَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إقراراً منه بفعل الغيرة وأثرها <sup>(١)</sup> .

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٢٤٨١ ، ٥٢٢٥) عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَدِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَأَنْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَقَّ =

= الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: « غَارَتْ أُمُّكُمْ »، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى النَّبِيِّ كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكُشُورَةَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ كُسِرَتْ.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: أما الرسالة فهي زينب بنت جحش ذكره ابن حزم في المحلى.

قلت: وهذه الغيرة طبيعة بشرية، وهي هنا من سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نتيجة كمال محبتها للنبي ﷺ، وحرصها على النصيب الأوفر والخط الأكبر منه ﷺ، ويجب أن نلاحظ أنه رغم أن النبي ﷺ عفا وتجاوز عن فعل الغيرة، إلا أن ذلك لم يمنع من المناصفة، فحكم لمن كسرت صحتها بصحفة سليمة، وذلك مقتضى العدل والحكمة. هذا، وقد تكررت هذه القصة..

- بين السيدة عائشة والسيدة أم سلمة، فروى النسائي في سننه الكبرى (٢٨٥/٥) عن أم سلمة رضي الله عنها أَنَّهَا يَعْنِي أَنَّ بَطْعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَزَرَّةٌ بِكِسَاءٍ وَمَعَهَا فِهْرٌ فَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فَلَقَتِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: « كُلُوا، غَارَتْ أُمُّكُمْ » مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ.

= - بين السيدة عائشة والسيدة صفية، فروى أحمد في مسنده ١٤٨/٦،  
والنسائي في السنن الكبرى للنسائي (٢٨٦/٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ صَانِعَةَ طَعَامٍ مِثْلَ صَفِيَّةَ، أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ إِنَاءً  
فِيهِ طَعَامٌ، فَمَا مَلَكَتْ نَفْسِي أَنْ كَسَرْتُهُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ كَفَارَتِهِ  
فَقَالَ: «إِنَاءٌ كَيْنَاءٍ وَطَعَامٌ كَطَعَامٍ».

ومن غيرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ  
أنها كانت تتفقده ليلاً، وقد حدث هذا مرات، منها:

- عنها أنها قالت: الْتَمَسْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي شَعْرِهِ،  
فَقَالَ: «قَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ»، فَقُلْتُ: أَمَا لَكَ شَيْطَانٌ، فَقَالَ: «بَلَى،  
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ». رواه النسائي (٢٨٧/٥).

- وعنها أنها قالت: افْتَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ  
ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَجَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ  
يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ وَيَحْمَدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، فَقُلْتُ: يَا أَبِي وَأُمِّي، إِنَّكَ  
لَفِي شَأْنٍ، وَإِنِّي لَفِي آخَرَ. رواه أحمد (١٥١/٦).

- وعنها أنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ  
بِالْبَقِيعِ، فَقَالَ: «أَكُنْتُ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟»، قُلْتُ: يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
يَنْزِلُ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لَأَكْثَرِ مَنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمٍ  
كَلْبٍ». رواه الترمذي ١١٦/٣.

وكذلك أتت الغيرةُ السيِّدةَ فاطمة بنت النبي ﷺ، عندما علمت بعزم عليٍّ رضي الله عنه على الزواج من ابنة أبي جهل، وأبى النبي عليه السلام أن يجمع بين هذه وتلك في ذمة رجلٍ واحدٍ علماً منه بنتيجة الغيرة<sup>(١)</sup>.

وهو تشريع في الواقع لو أننا شئنا النظرة العاقلة إليه، وعلمنا أن المرأة دائماً تنثور غيبتها لكل منافس لها في زوجها من أي ناحية مطلقاً، ولربما غارت من الكأس أن تُقبل فاه، والنسيم أن يمسح على وجهه (ولو القبيح).

(١) روى البخاري ٣١١٠، ٣٧٢٩، ومسلم ٢٤٤٩، من حديث المسور ابن محرز، قال: إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم، فقال: «إن فاطمة مني، وإنني أخوف أن تفتن في دينها»، قال: ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: «حدثنني فصدقني، ووعدني فأوف لي، وإنني لست أحرّم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عذو الله مكاناً واحداً أبداً».

## عودة إلى « الوفاء »:

وعندي من الوفاء الصادق اتحاد الظاهرتين بين الرجل وزوجه، يفرح لفرحها، وتفرح لفرحه، ويترحم لترحها، وهي كذلك، في كُلِّ ما يتحملة معنى هاتين الجملتين.

أَمَّا أَنْ يَكُونَا عَلَى طَرَفِي نَقِيضٍ، فَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْأَلُهُ النَّجَاةَ مِنْ حَرْبِ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَأَثَرِ هَذَا كُلِّهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَشَقَّ عَلَى نَفْسِ الْمَرْأَةِ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي حَالٍ تَرَى زَوْجَهَا عَلَى ضِدِّهَا فِيهَا.

وترى وفاء المرأة العربية ماثلاً مرئياً فيما قَصَّته « تماضر » امرأة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قالت: قلتُ لعُثْمَانَ ابْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه: هَلْ لَكَ فِي ابْنَةِ عَمِّ لِي، بَكَرٍ جَمِيلَةٍ مَمْلُوءَةٍ الْخَلْقِ أَسِيلَةَ الْخَدِّ أَصِيلَةَ الرَّأْيِ، أَتَزَوِّجُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَذَكَرْتُ لَهُ « نَائِلَةَ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ الْكَلْبِيَّةِ » فَتَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَالَ لَهَا: لَعَلَّكَ تَكْرَهِينَ مَا تَرِينَ مِنْ شَيْبِي؟



فقالت: يا أمير المؤمنين، إنِّي من نسوة أَحَبُّ أزواجهن إليهن  
الكهل.

قال: إنِّي قد جزتُ الكهول، وأنا شيخ.

قالت: أَذْهَبْتَ شَبَابَكَ مع رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله  
وَسَلَّمَ في خير ما ذَهَبَتْ فِيهِ الأعمارُ.

فلم تزل نائلة عند عثمان حَتَّى قُتِلَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَاتِلُوهُ  
دافعت عنه حَتَّى قطعت أناملها، ثُمَّ قالت: إنِّي رَأَيْتُ الحُزْنَ  
يَبْلَى كَمَا يَبْلَى الثَّوبُ، وقد خَشِيتُ أَنْ يَبْلَى حُزْنُ عثمان من قلبي  
فكسرتُ أسناني، وآلَيْتُ أَلَّا يَقْعُدَ أَحَدٌ مِنِّي مقعد عثمان أبداً.

وقد أَرْسَلَ إليها معاويةُ يُخطبها، فقالت لرسوله: قل له: ما  
ترجو من امرأةٍ قطعاء<sup>(١)</sup>.

ماذا يكون بعد هذا من الوفاء أَيْهَا السَّادَةُ !؟

---

(١) انظر: تاريخ ابن عساكر ١٣٧/٧٠، وطبائع النساء لابن عبد ربه  
الأندلسي ص ٤٢.

ولعلَّ وفاء الزوجين جميعاً يبدو ظاهراً فيما قيل: من أنَّ  
إحدى نساء العرب شكت إلى زوجها شاباً ما يبرح يؤذيها طلباً  
للفاحشة، فما لبث الزوج أن احتاج وقتل الشاب، ثم سيق به  
إلى القصاص، وإنَّه ليبنَّ يدي الجلاد إذ طلب رؤية زوجته، فلمَّا  
حَضَرَتْ ورأته بين النطع والسيف لم تملك نفسها من البكاء،  
فنظر إليها وقال:

أَقْلِيَّ عَلَيَّ اللَّوْمَ وَارْعِي بِمَنْ رَعَا  
وَلَا تَجْزَعِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا  
وَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا  
أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بَأَنزَعَا

فطلبت من الجلاد سكيناً وانتحت به ناحيةً وجَدَعَتْ أنفها،  
وجاءت بها على يديها وهي تقول له: أَبْعَدَ هَذَا مِنْ زَوَاجٍ؟<sup>(١)</sup>.

(١) البيتان لهدبة بن خشرم، شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز، كان  
راوية للحطيئة، وللبيتين تكملة، تجدها مع قصة جدع امرأته لأنفها  
في خزانة الأدب لابن حجة الحموي ٣٤٠/٩، ومحاضرات الأدباء =

هكذا إن نصلح تصلح نساؤنا، والعكس بالعكس، سواء  
بسواء، ويقول النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: «عفوا تعف  
نساؤكم»<sup>(١)</sup>.

= ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني ٢/ ٢٤١، والأغاني  
لأبي الفرج الأصبهاني ١٠/ ٢٧١.

- وفي محاضرات الأدباء ٢/ ٢٤١: تزوج رجل بابنة عم له يقال لها  
رباب، وتعهدا على أن لا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر، فمات  
الرجل وأكرهت المرأة على التزويج، فلما كان ليلة الزفاف رأت في  
منامها أن ابن عمها أخذ بعضادتي الباب، فأنشد:

حييت سكان هذا البيت كلهم  
إلا الرباب فإني لا أحييها  
أمسيت عروساً وأمسى منزلي خرباً

ولم ترع حقوقاً كنت أربيها  
فانتبهت مذعورة، وحلفت أن لا تجمع رأسها ورأس الرجل وسادة.  
- هذا، وقد أذاعت بعض الفضائيات صورة طريفة نوردها للمقارنة،  
وهي أن امرأة عجوزاً جاوزت الثمانين بالأردن طلبت الطلاق من  
زوجها لثلاث تكون زوجها في الآخرة، على حد تعبيرها.

(١) رواه أبو نعيم في أخبار أصفهان ٢/ ٢٥٥، والحاكم في المستدرک  
٤/ ١٧٠، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: بل سويد ضعيف.

وبديع جداً قول الشاعر:  
رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ

ويعديهم داء الفساد إذا فسد<sup>(١)</sup>

ولو أننا رأينا أن نُقلد «الفرنجة» في مثل هذا المكان تقليداً بصيراً، لأصبنا الإصابة كُلَّهَا، فما ترى أحدهم عرج إلى مشرب إلا ليقضي وطره ويمضي حيث شاءت المصلحة، أمّا حال كالتي في بلادنا وهي أحوج أرض الله إلى الفكر والعمل والإخلاص والجهد في كُلِّ مرافقها، فحالٌ تؤلم وتسىء.

ويحضرني في هذا المعنى قول أحد كبار موظفي الأجانب بمصر حين مرَّ بمشرب فقال: بودّي أن أُعطى سلطة واسعة أحمل بها سوطاً من النار، أضرب به هؤلاء المصريين الكسالى،

---

(١) البيت لمحمود الوراق، وبعده:

يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلَاحِهِ

وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

انظر: البيان والتبيين ١/ ٤٨٤، محاضرات الأدباء ١/ ١٦٨.

الذين يقتلون أوقاتهم على الحانات والنوادي وهم أفقر الناس  
إلى هذه الأوقات.

يا سادة: إنَّ لنا تاريخاً مجيداً تتقطع دونه نياط قلوب أعدائنا،  
وإنَّ هذا العقل المصري الذي خلق هذا التاريخ الفذ هو العقل  
المصري الحاضر، هذب وصقل وأشرق، ولكن بعد أن قتل هذا  
التاريخ.

يا سادة: إنَّ هذا العقل كما حكم أكبر جزء من الأرض  
بعلمه وعمله في الماضي، يستطيع الآن أن يستعيد هذا المجد إذا  
عمل وصحا من غفلته.

هذه الكلمة جاء بها الاستطراد عَفْواً للمعذرة، غير أنني إنَّ  
كنتُ نحوْتُ بأكثر هذا الباب إلى الرجل فلائته صاحبه، ولأنَّه له  
وحده في أكبر الرأي.

\*\*\*

## ٤) زينة المناسبة :

ومعنا الآن بابٌ أخير نريد أن نتكلم فيه بإيجاز لنكون قد ألممنا بأكثر ما يحتوي الحياة الزوجية من الأدواء، ما عَنَّا لنا من الدواء، ذلك هو باب « زينة المناسبة ».

ونرى أن نصيب الزوجين فيه سواء، فليس من حكمة الرجل أن يشغل زوجته بما لا تطيق، وهو يعلم منها ذلك، أو أن يأمرها بأمرٍ ومعها ما لو تركته فَسَدَ وُيُنِتَ على أنقاضه معركة، أو أن يراها من المرض أو ما هو في حكمه بحيث يكون من الحرام تكليفها، فيأبى شيطانُهُ إلا أن ينزع من قلبه منازع الرحمة وتقدير الواقع، فيكبر في نفسه أو تكبر نفسه فيه، ولا بد أن يأمر فيطاع، مهما أنتج هذا من بدور السوء التي تفرسها يد الشيطان، وما تزال الملابس المختلفة تغذيها وتتعهدها حتى تؤتي أكلها كأسوأ ما يكون.

على حين أننا نعرف عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

كان يقوم مع نسائه بشئون منازلهن، كما أخبرت بذلك السيِّدة عائشة رضي الله عنها، بل كان يخصف نعله، ويرقع ثوبه بيده<sup>(١)</sup>، وهو أكثر الناس مجداً، وأعزهم مالاً وخدماءً.

وليس من الحكمة أيضاً أن ندع موضوع (الغذاء) كيفما يكون معتمدين على صدق وفاء الزوجة أو إخلاصها أو ما هو بسبيل من هذا، فالمرأة نقادة، ترى بكل جسمها لا بعينها

---

(١) - سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة». رواه البخاري ٢٣٩/١.

- وسئلت: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ قالت: «كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكاً بساماً». رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٣٦٥).

- «كان رسول الله ﷺ يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة». رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٣٦٦).

- سأل رجل عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته شيئاً؟ قالت: «نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته». رواه أحمد (٦/١٦٧).

فحسبُ، وقد قرَّرنا أنَّها تغار مُرَّ الغيرة، ولا تحب أن تكون أقل مما ترى.

وهنا نقول: إنَّ عدوى فساد النساء تنتقل من الواحدة إلى الأخرى بأسرع مما تنتقل حمى (الدنج)<sup>(١)</sup> لفرط شغفهن بالتقليد، سواء كان أعمى أو أعرج أو أقرع أو أجرب.

فيجب على هذا أن يكون هناك حدٌ لا اختلاطهن، وربما رأيتُ مرافقة الرجل زوجته في رياضة مؤدبة خيرٌ بكثيرٍ من زيارة تكون فيها عاصفة مجنونة، مما لا طاقة للرجل ولا للعقل نفسه به، إذ كيف ترى المرأة زوجة فلان على كذا من المأكَل والمشرب والملبس والزينة، وعندها كذا وكذا من الخُلِّي والأثاث والخدم، ثمَّ هي بعد هذا تستطيع أن تكون أقل منها، وهي التي ترى في أصلها وفرعها، وحسبها ونسبها، ما لا قبل للأولى به.

(١) حمى الدنج: مرض فيروسي وبائي، سريع الانتشار، وهو أكثر شيوعاً في المناطق المدارية، وتنقله بعوضة معينة، ويسبب حمى وصداعاً شديداً، وآلاماً في المفاصل والعضلات، إضافة إلى القيء والطفح الجلدي، وهو يصيب الملايين كل عام في المناطق الاستوائية والمدارية.



ثَقُوا أَنَّ قُوَى حُبِّ الظُّهُورِ عِنْدَ الْمَرْأَةِ تَتَسَاوَى مَعَ قَوَاهَا  
جَمِيعاً، وَهِيَ لَا تَنْظُرُ عِنْدئِذٍ إِلَى طَوِّقِ الرَّجُلِ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَوْ لَا  
يَسْتَطِيعُ، إِذِ الْفِكْرَةُ الْأُولَى عِنْدَهَا أَنَّ الزَّوْجَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،  
وَلَسْنَا نَدْعُو بِهَذَا إِلَى عَدَمِ التَّرَاوُرِ وَالتَّوَادُّ بَيْنَ النِّسَاءِ، بَلْ إِنَّنَا نَرَى  
فِيهِ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ لِقِيَامِ الْحَيَاةِ وَنِظَامِ الْعُمُرَانِ، إِلَّا أَتَيْنَا نَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ  
بَصِيرَةً بِالْعَوَاقِبِ، وَهُنَاكَ حِكْمَةٌ تَقْرَأُ الشَّيْءَ فِي نِصَابِهِ، وَتَفَاضُلِ  
بَيْنَ الزِّيَارَاتِ وَالزَّوَارِ، وَغَايَةِ هَذِهِ وَتِلْكَ.

### الرَّجُلُ وَزِنَةُ الْمُنَاسَبَةِ :

وَيُمْكِنُنَا تَلْخِيصُ هَذَا الْبَابِ فِي أَنَّ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ  
رَجُلًا بِكُلِّ مَعَانِيهِ، وَاضِعًا الشَّيْءَ عَلَى حِدَةٍ فِي قِسْطَاسِهِ، فَيَقْسُو  
حَيْثُ تَجِبُ الْقَسْوَةُ، وَيَلِينُ حَيْثُ يَحْسُنُ اللَّيْنُ، وَيَعْطِفُ حَيْثُ  
يُحْمَدُ الْعَطْفُ، وَيَشْتَدُّ حَيْثُ لَا بُدَّ مِنَ الشَّدَّةِ، وَيَتَوَاضِعُ حَيْثُ  
يَجْمَلُ التَّوَاضُعُ، وَيَسْتَكْبِرُ إِنْ صَحَّ أَنْ يَسْتَكْبِرَ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ  
حَيْثُ أُبِيحَ الْمَنْعُ أَوْ نُدِبَ الْعَطَاءُ، مُرَاعِيًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ الْمَصْلَحَةَ أَنْ

تبقى، ورابطة أَحَبَّ أن تدوم، وفي النَّفس استعدادها لكلِّ هذا،  
ما دامت نَفْساً في جِسْمٍ على أيِّ حالٍ، وفي أيِّ كَيْفٍ.

عندئذ يمكن أن يُنَيَّ قصر السعادة شاءت الظروف أو لا،  
وأقول: شاءت الظروف أو لا مُوقِناً أنَّ وضع الشيء في محله آتٍ  
بالسَّعادة رغم أنفها، وإني أذكركم بقول معاوية رضي الله عنه:  
« لو أنَّ بيني وبين النَّاس شجرة ما انقطعت، إن شَدُّوا أَرْخِيْتُ أو  
أَرْخَوْا شَدَدْتُ »<sup>(١)</sup>.

فلكلِّ حال أمرٌ يتسق معها قوَّةٌ وضعفاً، فإن قام أحدهما  
حل الآخر اختل التوازن وفسد الوضع.

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا  
مُضَرٌّ، كَوَضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى<sup>(٢)</sup>  
هذا من ناحية الرجل ..

(١) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة ٢/٤١٣، وروضة العقلاء ١/٧٢.

(٢) البيت للمتنبى، من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويهنته فيها بعيد  
الأضحى سنة (٣٤٢ هـ). شرح ديوان المتنبى للواحدي ١/٢٦٦.

## المرأة وزنة المناسبة :

أمّا المرأة فسيّلها في كلّ هذا سبيل الرجل فيه، لها وعليها ما له وما عليه، وليس عليها أوجب من أن تعود رحيمةً قبل كلّ شيء، وإن كانت الرحمة أصلاً في قوى النفس عند الفصيلة النسائية، إلا أنّها بمرور الظروف والحوادث الهوجاء عليها استحال (عند البعض) إلى قسوة على الرجل أيها قسوة، وإن التقاليد التي لا طاقة للرجل بها هي التي سببت النفرة بين الفصيلتين، مما أوجد القسوة بديلاً من الرحمة التي هي خاصية هذا الجنس وميزته.

وصدق الحبّ معيار السعادة، فعلى قدر حب المرأة للرجل يكون تقديرها لمصلحته وزنة مناسبه، ولو أنّ هذا خير بالمرأة من ناحية ما، لرأيت كيف تكون فلسفة المتصوفة والمتزهدين الصابرين، ولرأيت كيف ترى المرأة روح الخير جاثمة في هيكل الشر الحائل.

ولرأيت ملاك الحبّ يوحى إليها بالمعاذير عن زوجها،  
وينمق لها فيها، ويعرضها عليها في ألوان قوس قزح، خلاصة  
منسقة بديعة في منتهى الجمال، حتّى ولو لم يكن للرجل من كلّ  
هذا نصيبٌ معقولٌ.

وأعوذُ بالله إن سكن صدقُ البغض مسكناً صدق الحب،  
هنا يكون غضب الله تعالى ما زال يبرأ من شفافيته ويتكاثف  
ويحور، حتّى صار امرأةً فيها كل أنواع الهمّ والمقت والبلاء.

وهنا أيضاً ترى على مسرح الواقع كيف تُمثل أخبث  
الروايات، ولقد صدق سيّدنا سليمان بن داود عليهما السلام إذ  
يقول: (المرأة تبني بيت زوجها إن أحبته، ولو استحال البناء،  
وتهدمه إن أبغضته وإن استحال الهدم).

فالمرأة وحدها هي القادرة على حكم المستحيل وتصديقه  
كيف تشاء، وهذا سرُّها الغريب، وعِزُّها الأبدي.

ثُمَّ أَلَا تَرَوْنَ مَعِيَ أَنَّ مِنْ بِنَاءِ الْبُيُوتِ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ نِسَاءُ  
الصَّحَابَةِ، وَفِيهِنَّ ذَاتُ الْمَجْدِ التَّلِيدِ، وَالْمَحْتَدِ الْمَجِيدِ، وَالْحَسَبِ  
الْجَلِيلِ الرَّفِيعِ، مَنْ ذَهَابَهُنَّ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ إِلَى مِيَادِينِ الْقِتَالِ  
وَأَسْوَاقِ الْمَوْتِ، يُعَنَّ عَلَى الْكُرِّ وَالْفَرِّ وَالِدَّفْعِ وَالْجَذْبِ، وَيُثْرْنَ  
الْحِمِيَّةَ فِي الْقُلُوبِ، وَيَقِينَنَّ مِنَ السَّهَامِ، وَيَحْمِينَ الظُّهُورَ، وَيُضْمَدْنَ  
الْجِرَاحَ .. إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْ أَنْوَاعِ التَّعَاوُنِ، وَمَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ قِيَامِهِنَّ  
عَلَى بُيُوتِهِنَّ بِأَكْثَرِ مِنَ الْوَاجِبِ.

أَمَّا الْآنَ وَفِي عَصْرِ التَّقَدُّمِ وَالنُّورِ لَيْسَ لِبَعْضِ نِسَائِنَا إِلَّا هَدْمُ  
الْبُيُوتِ، فَهِيَ تَهْدِمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَالِيَةَ الرَّجُلِ، فَتَهْدِمُ شَخْصِيَّتَهُ،  
فَتَهْدِمُ بَيْتَهُ، فَتَهْدِمُ نَفْسَهَا، ثُمَّ لَا أَعْرِفُ مَاذَا تَعْمَلُ بَعْدَ أَنْ تَهْدِمَ  
نَفْسَهَا وَيَذْهَبَ هَذَا عَنْهَا مَثَلًا سَائِرًا؟!

وَأَكْثَرُ مَا أَرَى نِسَاءً نَا تَهَاوَنًا فِي الْوَاجِبِ إِلَى مَبْلَغٍ لَا يَسَاغُ،  
وَتَعْشَقَانِ إِنْ لَمْ يَكُنْ انْكِبَابًا عَلَى اللَّهِو وَالْمَجُونِ وَالْخَلَاعَةِ، وَانْصِرَافًا  
إِلَى طَرِيقِ الْأَجْسَامِ فَقَطْ مِنَ الدَّخْلِ وَالْخَارِجِ، وَإِهْمَالًا فِي شُؤْنِ

الدار المقصودة لذاتها شرعاً وعرفاً وعقلاً وأدباً، وجشعاً في طلب المال وأنانيةً وصلفاً - أستغفر الله - فقط في الحق المشروع، ولست بصدد البحث عن منشأ هذا، فهو في إجماله يعود إلى ضعف التربية وسوء التعليم وهتك الستر الديني، ولعلنا نعالج هذا في ظرفٍ آخر.

ويحضرني قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما جمع فيه صورة المثل الأعلى للمرأة في أبلغ أسلوب، وأخصر عبارة، وأوسع معنى: « خَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ تَسْرُكُ إِذَا أَبْصُرْتَ، وَتُطِيعُكَ إِذَا أَمَرْتَ، وَتَحْفَظُ غَيْبَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ »<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر: « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمَوَاتِيَّةُ

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير ١٨ / ٤٤٠، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: « رواه الطبراني، وفيه رزيك بن أبي رزيك، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات ». ورواه أحمد (٢ / ٢٥١)، والنسائي (٦ / ٦٨)، والحاكم (٢ / ١٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

المُؤَاسِيَةُ إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيَّلَاتُ وَهُنَّ  
الْمُنَافِقَاتُ» (١).

فَمَنْ مُحِبٌّ عَنِّي فِتْيَانَتِنَا الْمُسْلِمَاتِ هَذَا كُلُّهُ؟!

ولكنهم يقولون: مدنية وعلم، فنراهما فقط في الوجوه،  
والمظاهر، والكلام، أمّا ما نفهمه من العبارة على حقيقتها، وما  
هو فخر المرأة المسلمة من اتصالها بالزوج اتصال الروح بالجسد،  
تألم كما يألم، وتسّر إن يسر، وهي معه في كلتا الحالتين جنباً لجنب  
ما أصاب أحدهما فقد أصاب الآخر وأساءه، حتّى كأنهما روح  
واحدة في جسدين، هذا ما لا يعرفه من نسائنا إلا القليلات  
جداً، واللواتي لم يغالبهن الطيش والنزق، فأبصرن الحضارة على  
حقيقتها، فعملن لها غير متغطرسات ولا مشتتات.

---

(١) رواه البيهقي في سننه الكبرى (٨٢/٧) عن أبي أذينة الصديقي مرسلًا،  
وقال: وروي بإسناد صحيح عن سليمان بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا  
إلى قوله: «إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ».

ونخرج من هذا الإجمال على أنَّ الرجل والمرأة في زنة المناسبة،  
وتقديم الأنفع، وتربية الأبقى، والعمل للمستقبل سواء، ولكلٍّ  
منهما على الآخر حق استعمال عقله وحكمته إذا شاء أن يسعدا  
وتسعد بهما الحياة.



### وصية أم لابنتها ليلة زفافها:

وقبل أن أختم كلمتي الآن أسمعكم وصية أُمّامة التغلبية،  
لابنتها أم إياس بنت عوف في ليلة زفافها، وهي قبل أربعة عشر  
قرناً، جمعت كلَّ مكارم أخلاق المرأة بعدها، قالت - ولعل قولها  
أكثر الشيء مما قلناه -:

يا بُنَيَّة: لو كانت الوصية تترك لفضل وأدب، أو مكرمة  
حسب، لترك ذلك معك، ولأبعدته منك، ولكنها تذكرة  
للعاقل ومنبهة للغافل.



أي بُنَيَّة: لو استغنت امرأة عن زوج بسبب غنى أبيها، لَكُنْتُ  
أغنى النَّاس عن ذلك، ولكن للرجال خُلِقْنَا كما خُلِقُوا لَنَا.

أي بُنَيَّة: إِنَّكَ فَارَقْتِ بَيْتَكَ الذي منه خَرَجْتِ، والعُش الذي  
فيه دَرَجْتِ، إلى وَكِيرٍ لَمْ تعرفيه، وقرينٍ لَمْ تَألفيه، فكوني له أُمَّةً يَكُنْ  
لِكَ عَبْدًا، واحفظي عَنِّي خصالاً عَشْرًا، يكن لك ذِكْرًا وَذُخْرًا:

أَمَّا الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن  
السمع والطاعة، فَإِنَّ فِي الْقَنَاعَةِ راحة القلب، وفي حُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ  
مرضاة الرب.

وَأَمَّا الثالثة والرابعة: فالتعهد لموضع أنفه وعينه، فلا تقع  
عيناه مِنْكَ على قَبِيحٍ، وَلَا يَشُمُّ أَنْفُهُ مِنْكَ إِلَّا أَطْيَبَ رِيحٍ، واعلمي  
يَا بُنَيَّة أَنَّ الْمَاءَ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ الْمُرُودِ، وَأَنَّ الْكُحْلَ أَحْسَنَ الْحُسْنِ  
الْمَوْجُودِ.

وَأَمَّا الخامسة والسادسة: فالتَّعَهُدُ لَوَقْتِ طَعَامِهِ، وَالتَّقَرُّدُ  
لَحِينِ مَنَامِهِ، فَإِنَّ حَرَارَةَ الْجُوعِ مُلْهَبَةٌ، وَتَنْغِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ.

وَأَمَّا السَّابِعَةُ وَالثَّامِنَةُ: فَلَاحْتِفَاضَ بَيْتِهِ وَمَالِهِ، وَالرَّعِيَّةِ  
لِحَشْمِهِ وَوَعِيَالِهِ، فَإِنَّ حِفْظَ الْمَالِ أَصْلَ التَّقْدِيرِ وَالرَّعَايَةِ لِلْحَشْمِ  
وَالْعِيَالِ مِنْ حَسَنِ التَّدْبِيرِ.

وَأَمَّا التَّاسِعَةُ وَالْعَاشِرَةُ: فَلَا تَفْشِي لَهُ سِرًّا، وَلَا تَعْصِي لَهُ  
أَمْرًا، فَإِنَّكَ إِنْ أَفْشَيْتَ سِرَّهُ لَمْ تَأْمَنِي عِزَّهُ، وَإِنْ عَصَيْتَ أَمْرَهُ  
أَوْغَرْتَ صَدْرَهُ.

وَاتَّقِي مَعَ ذَلِكَ الْفَرَحَ إِنْ كَانَ تَرِحًا، وَالْاِكْتِسَابَ إِنْ كَانَ  
فَرِحًا، فَإِنَّ الْأَوَّلَى مِنَ التَّقْصِيرِ، وَالثَّانِيَةُ مِنَ التَّكْدِيرِ، وَأَشَدُّ مَا  
تَكُونِينَ لَهُ إِعْظَامًا أَشَدُّ مَا يَكُونُ لَكَ إِكْرَامًا، وَأَشَدُّ مَا تَكُونِينَ لَهُ  
مُوَافَقَةً أَطْوَلَ مَا يَكُونُ لَكَ مُرَافَقَةً.

وَاعْلَمِي يَا بَنِيَّةُ أَنَّكَ لَنْ تَقْدِرِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تُؤْثِرِي رِضَاهُ  
عَلَى رِضَاكَ، وَتُقَدِّمِي هَوَاهُ عَلَى هَوَاكَ، فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ،  
وَاللَّهُ يَهَبُ لَكَ الْخَيْرَ، وَأَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ.

هذه وصية مرسلة من نور العرش إلى قلب المرأة العربية  
تكشف بها عن مجاهل السعادة، وتوضح أتيّاتها بما لا يدع بعدها  
مقالاً لقائل، فتعالي يا وزارة المعارف ومري بناتك أن يحفظن  
هذه الوصية ويتفهمنها، وبعد أن يقارننها بما تقوله (نيتالدي)  
وأمثالها، يجعلنها طريقهن ونهجهن السوي، وبعدئذ يحق للأمة  
أن تصلي لك بعد كل صلاة ركعتين كلُّها شكر ومحمدة.

وكلُّ هذا، وما سيأتي بعده إلى يوم أجده ماثلاً ملموساً  
في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ  
دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وفي قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ  
بِإِحْسَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وأجد عطف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَسَلَّمَ فياضاً مترقفاً عليهن في قوله: «إِنِّي أَحَرَّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ  
الضَّعِيفَيْنِ: الْمَرْأَةِ وَالْيَتِيمِ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (١/١٣١، ٤/١٤٢)،  
والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/١٣٤)، ورواه أحمد (٢/٤٣٩)، وابن  
ماجه (٢/١٢١٣)، والنسائي في الكبرى (٥/٣٦٣).

وفي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ: «الله الله في النساء»<sup>(١)</sup>  
حنان ومرحمة في الطبقة العليا لأن النساء في هذا الحين كن من  
الطبقة العليا أيضاً، فلو رآهن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَسَلَّمَ  
اليوم، لقال لهن: «الله الله في الرجال»..؟

\* صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ \*

محمد زكي إبراهيم

راند العشيرة المحمدية

وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

قايتباي

(١) رواه بهذا اللفظ أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة (٦٠٤٩)،  
وهو في الفردوس بمأثور الخطاب (٤٠٤/٢)، عن يسار مولى فضالة،  
ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١٧٣/٦)، عن سعيد بن أبي هلال، وقد  
وردت الوصية بالنساء في حجة الوداع في حديث جابر الطويل (رواه  
مسلم ١٢١٨، وأبو داود ١٩٠٥)، وفيه: «فاتقوا الله في النساء فإنكم  
أخذتموهن بأمان الله»، وقد ورد عن عبد الله بن عمر وغيره نحوه.

## تعريف

### بقسم السيدات والفتيات المحمديات

### « الداعيات إلى الله »

#### أولاً: تمهيد:

إنَّ الأمور السَّهلة المكررة (أَنْ تبني دار حضانة، أو دار تأهيل، أو إيواء مثلاً) ميسرة، لكن الصعب كل الصعب هو بناء « المرأة المسلمة » التي تجمع بين واجب ربها، وواجب بيتها، وواجب وطنها، وهذا هو هدفنا الأول. ولهذا كان من ميزاتنا الخاصة، فيما نرجو:

١- صدق الدعوة إلى الاعتصام بالتطبيقي بالدين والأخلاق والربّانية في حكمة ويسر وسماحة.

٢- ثُمَّ التحرك البريء لخدمة « المجتمع النسائي الشعبي » في كل موقع وكل قطاع.

٣- ثُمَّ محاولة تجميع القوى المسلمة العاملة في المحيط النسوي على المحبة والتعاون والتكامل والعمل لوجه الله تعالى مع البعد عن مشيرات الخلاف والفتن، وأمراض النفوس، ومشاكل الرياسات، والتنافس على المظاهر.

٤- عدم استخدام الحرام في سبيل الحلال، كإقامة أحفال الأغاني والسهرات الراقصة وأوراق (اليانصيب) ونحوها لبناء مسجد، أو دار لخدمة إنسانية أو ثقافية أو اجتماعية، فإنَّ الغاية لا تبرر الوسيلة في الإسلام « إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً »..

ثانياً: ملخص أهداف قسم السيدات والفتيات المحمديات:

أولاً: محاولة نشر الفكر الإسلامي والأدب الرفيع، بكلِّ مراتبه الروحية والخلقية والتعبدية والإنسانية في المجتمع النسائي، على أصول القوانين العلمية السمحة الميسرة، والإيمان التطبيقي، في حدود ربانية الكتاب والسُّنَّة، مع العناية بالقرآن الكريم تفسيراً، وتلاوة، وحفظاً.

ثانياً: الاهتمام في ذلك بصفة خاصة بـ (المحيط النسائي الشعبي) بالمدن والقرى، فهو الذي قدَّم الشهداء، وخَرَجَ الأبطال، ومن صميمه ظهر ويظهر زعماء الشعب وقادته ورجاله، سلفاً وخلفاً.. وقد طال إغفال واجبات هذا المحيط النسائي الشعبي العظيم، ولا عذر لمقصر في حقوقه.

ثالثاً: محاولة النهضة بوضعية المرأة المسلمة، والأسرة المسلمة، والبيت المسلم وبخاصة الفتيات، بما يجمع بين التقدم الحضاري وخصائص الإسلام الشريفة، باعتبار هذه الخدمات أثراً طبيعياً من آثار الدين الصحيح .

رابعاً: عقد أواصر التعاون والتكامل العملي مع جميع القوى الإسلامية العاملة في المحيط النسوي، وبخاصة بالوسط المثقف، على طريق التعاون على خدمة الأهداف المشتركة من الجانب الروحي والخلقي والاجتماعي والثقافي وغيره .

خامساً: المشاركة في تحقيق أهداف العشرة المحمدية المقررة بقانونها الرسمي دينياً واجتماعياً وثقافياً وصحياً، بما ينبغي للسيدة والفتاة المسلمة.

#### ملاحظة:

نحن لا نجادل أبداً، ولا نشترك في الخلافات المذهبية، ونحب أن نعمل بكل جهدنا في صمت لوجه الله، بعيداً عن حُبِّ الظهور، وأمراض حُبِّ الرياسة، ومن أصول مؤاخاتنا: «قبولنا على علاتنا» .

### ثالثاً: نصائح لأخواتنا في الله:

- ١- اجعلي بينك وبين الله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء صلة مودة وحب، وعلاقة إيمان وقرب، وربانية تنفك نفسياً وواقعياً، في السراء والضراء، وفي النفس والأهل والمال والولد.
- ٢- حافظي على الصَّلوات، والأدعية والأوراد المحمدية، وفرغي وقتاً دورياً للقرآن الكريم، ووقتاً آخر للثقافة والدراسات الدينية، خصوصاً تاريخ السلف من المسلمين، تفوزي بالخير كله في الدنيا والآخرة، وما دمت على ذلك فأنت في معية الله، وعليك دعوة جميع صوحيباتك وأخواتك إلى هذا الخير الأكيد.
- ٣- إن الحشمة لا تتنافى أبداً مع الأناقة، وإن الفضيلة لا تتعارض أبداً مع التقديمية والحضارة، فالتزمي (الزي الإسلامي) فإنه يضمن لك الاحترام والاحتشام، مع الأناقة والتقدم والوقار والكرامة.
- ٤- لازمي الدعوة إلى الله تعالى، وإلى ندواتك المحمدية، ومشروعاتك الدينية والإنسانية والوطنية، ولا تيأسي أبداً، وتذكري قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها».



٥- كوني في دارك أو معهدك أو وظيفتك مثلاً كريماً للمحمدية  
المجاهدة، واجعلي من نفسك قدوة إسلامية لغيرك، في مظهرك،  
ومخبرك، ومحضرك، وأداء واجباتك، ومختلف معاملتك، جادة في  
سماحة وعفة، بلا غلواء ولا تنطع ولا تطرف يلفت الأنظار، ويؤزم  
النفوس، ولا يخدم الإسلام.

٦- للعشيرة نشاط اجتماعي شامل « كأثر التدين والتسامي »،  
فالعشيرة دور حضانة، ودور تأهيل، وعيادات خارجية للعلاج،  
ومجموعات للتقوية، وحلقات للخدمات القرآنية.

بالإضافة إلى ذلك ندواتها الدورية، ومساجدها المتعددة،  
وبالإضافة أيضاً إلى المدافن التي أنشأتها للأعضاء، ثمَّ الغرباء  
والفقراء، ثمَّ بالإضافة إلى المعاونات العاجلة للطواريء، والمساعدات  
المنتظمة للطلبة والطالبات، وبالإضافة أيضاً إلى مشروعاتها الثقافية  
الإسلامية والصوفية الكبرى ومجلتها « المسلم »، والفروع  
المختلفة، كُلُّ ذلك في صمت خالص لوجه الله تعالى.

#### رابعاً: نداء للأخوات:

١- إنَّ التدين هو التمدين، فالدين لا يمنعك أبداً من «زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق» طعاماً وشراباً ولباساً ومتاعاً حلالاً، فليس التدين قيداً إلا على ما حَرَّمَ الله، وأفسد الخلق، وعاد بالضرر الحسي أو المعنوي على البشرية، ورسالة الإسلام هدى ونور وبركة، ورحمة وسباحة ومحبة .

٢- يا أختي في الله: نحن في انتظارك للتعاون معنا على الخدمات الإلهية والإنسانية، البعيدة عن الزيف والزيف، والمتاجرة والمفاخرة.. نحن نناديك أن (حيَّ على الفلاح)، فأقبلي قائلة: (لبيك اللهم لبيك).

\*\*\*

❖ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ❖

❖ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ❖

---

❖ تمت (الطبعة الأولى) من هذه المحاضرة «السياسة بين الزوجين في الإسلام» لفضيلة الأستاذ الإمام السيد محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل ابن علي الشاذلي رائد العشيرة المحمدية رحمه الله تعالى، وكان الفراغ منها في ليلة الاثنين ١٦ من ذي القعدة ١٤٢٨ هـ، الموافق ٢٦ / ١١ / ٢٠٠٧ م، وقد اعتنى بها وعلق عليها تلميذ الإمام الراحل: محيي الدين حسين يوسف الإسنوي من خريجي الأزهر الشريف، والله الحمد والمنة والفضل، وهو الموفق المستعان ❖

---

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٣
تمهيد وتقدير	١٣
أُسُس الحياة الثابتة	١٩
مَثَلٌ للمرأة وَمَثَلٌ للرجُل	١٩
(١) التسامح	٢٥
(٢) التعاون	٣٠
السيدة فاطمة مَثَلٌ للتعاون	٣٦
والسيدة أسماء مَثَلٌ آخر	٣٨
(٣) تقدير الواجب	٤٢
مَرَضُ السَّهَرِ	٤٤
غيرة المرأة	٤٨
عودة إلى «الوفاء»	٥٢
(٤) زِنَةُ المناسبة	٥٨
الرجل وزِنَةُ المناسبة	٦١
المرأة وزِنَةُ المناسبة	٦٣
وصية أم لابنتها ليلة زفافها	٦٨
تعريف بقسم المحمديات	٧٣